جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

ما لا يتم التفسير إلا به

إعداد

دكتور: محسن عبد العظيم الشاذلي

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن الكريم بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات فرع السادات – جامعة الأزهر

إيميل: MohsenAl-shazly.٣٣@azhar.edu.eg

العدد السابع

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م

ما لا يتم التفسير إلا به

محسن عبد العظيم الشاذلي

قسم : التفسير وعلوم القرآن كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

فرع السادات جامعة الأزهر

المدينة : القاهرة الدولة : جمهورية مصر العربية

البريد الالكتروني : MohsenAl-shazly.٣٣@azhar.edu.eg

ملخّص الدراسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فهذا البحث –(ما لا يتم التفسير إلا به)– محاولة لبيان العناصر التي لا بد من استيفائها عند التعرض لتفسير نص قرآني ، وهي كالتالي :

أولا : علاقة النص بما قبله .

ثانيا : بيان أحوال النزول .

ثالثا : الكلام عن المفردات .

رابعا : بيان الأحكام .

خامسا : بيان وجوه الإعجاز.

سادسا : بيان المعنى العام .

سابعا : بيان ما يستفاد من الآيات .

بينت فيه –بالمثال– أهمية استيفاء كل عنصر من هذه العناصر ، وأثر ذلك على التفسير ، فمتى أتى المفسر عليها جميعا كان تفسيره وافيا .

كلمات مفتاحية :

(عناصر ، أهمية العنصر ، مثال)

What is not explained Except by him

Mohsen Abdel-Azim Al-Shazly

Department of: Interpretation and the sciences of the Noble Qur'an

faculty of: Islamic and Arabic Studies for girls in El-Sadat city

University: al-azhar city: cairo

country: Arab Republic of Egypt

e-mail: MohsenAl-shazly.٣٣@azhar.edu.eg

Abstract:

Praise be to Allah, and may prayers and peace be upon the Messenger of God, his family, companions and those who support and follow him.

This research - (what can only be explained by it) - is an attempt to clarify the elements that must be fulfilled and met when exposed to interpreting the Qur'anic text, which are as follows:

First: The relationship of the text to what preceded it.

Secondly: Explaining the conditions of descent.

Thirdly: Speaking of vocabulary.

Fourthly: Explaining principles and canons.

Fifthly: Explaining the faces and features of miracles.

Sixthly: Explaining the general meaning.

Seventhly: Explaining what can be learned from the verses.

I showed by giving examples, the importance of fulfilling each of these elements, and the effect of that on interpretation, When the interpreter came to them all, his explanation was then perfect and complete.

Key words: **(Elements, importance of the element, example)**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترضيه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وبعد

فإن لكل علم حدودا كلية يجب التزامها عند رسمه وتعريفه، وعناصر جزئية يجب استيفاؤها عند الخوض فيه

وعلم التفسير له حد معلوم ، وقواعد مرسومة بينها العلماء في كتب التفسير وأصوله ، وضوابط مخصوصة مبثوثة في كتب التفسير وعلوم القرآن (١)، وله كذلك عناصر يلزم -من خاض فيه- استيفاؤها وبيانها .

ولما كان التفسير علما ، وكان موضوعه كلام الله ﷻ ، كانت الحاجة إلى التزام عناصره والوفاء بها ماسة ؛ لأنه بيان عن الله عز وجل ، فالتقصير فيه ربما أدى إلى خلل في الفهم ، ثم إلى خطأ في التطبيق ، وذاك بلا شك يعود على قائله أولا بالإثم والذنب العظيم ، ويعود على الناس بالتضليل والزيغ عن شرع الله .

وقد تكاثرت كتابات العلماء -منذ القدم- في التفسير ، وتنوعت أساليبهم ما بين مقل من عناصر التفسير(٢) -حتى يكاد لا يذكرها- ومكثر منها -حتى تكاد تكون الغالبة على تفسيره ، فآثرت أن أخصص بحثي هذا للحديث عن عناصر التفسير وخطواته؛ ليكون مفتاحا للمفسر المبتدئ، كعنوان البحث وخطته :

عنونت لهذا البحث ب(ما لا يتم التفسير إلا به) ، وجعلته في مقدمة وتمهيد ، وسبعة مباحث وخاتمة .. تكلمت في المقدمة عن أهمية الموضوع وخطة البحث وأسباب اختياره، وتكلمت في

---

١) جمعتها في بحث سابق بعنوان (ما لا يسع المفسر إغفاله وتركه من ضوابط التفسير) نشر في العدد الثاني لسنة ٢٠٢٠ من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ .

٢) سيأتي تعريف العناصر والمراد بها في التمهيد بإذن الله .

التمهيد عن أقسام التفسير، واللون المقصود بالبحث هنا، وذكرت نموذجا لأساليب المفسرين في تفاسيرهم ، وختمته بتعريف كلمة (عناصر) . أتبعته بالمباحث السبعة مقصود البحث وهي كالتالي:

المبحث الأول : بيان العلاقة بين الآيات.

المبحث الثاني : بيان أحوال النزول .

المبحث الثالث : الكلام عن المفردات .

المبحث الرابع : بيان الأحكام .

المبحث الخامس : بيان وجوه الإعجاز.

المبحث السادس : بيان المعنى العام .

المبحث السابع : بيان ما يستفاد من الآيات .

قدمت لكل منها ببيان نبذة إجمالية عنه ، وذكرت وجوه أهميته في التفسير ، وبينت ذلك بمثال .

ثم كانت الخاتمة ، متضمنة أهم نتائج البحث ، وتوصياته .

أسباب اختيار الموضوع :

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أمور ..

أولا : التأكيد على سلامة منهج كثير من المفسرين القدامى، إذ اشتملت جل كتاباتهم على هذه العناصر ، فكانوا منارات هادية لمن بعدهم .

ثانيا : وضع علامات إرشادية لمن أراد اختصار أحد كتب التفاسير التي كتبها السابقون ، ففي هذه العناصر الغناء لمن يبحث عن معاني القرآن الكريم .

ثالثا: دليل للمبتدئين -من طلاب العلم- والكاتبين في تفسير القرآن ، لتمييز الأصيل من عناصر التفسير واستيفائه ، ومعرفة غير الأصيل منها وعدم تكلف البحث فيه.

إشكالية البحث : تظهر فكرة هذا البحث في نقطتين

الأولى: تحديد قيمة هذه العناصر -وبيان وجوه أهميتها- في التفسير .

الثانية : توسيع مفهوم بعضها ، وتناوله لما لم يتناوله في كتب السابقين .

سائلا المولى ﷻ أن يوفقني للحق، ويلهمني السداد والرشد، ويغفر لي ما وقعت فيه من خطأ أو نسيان أو تقصير ، وأن ينفع به قارئه وكاتبه . اللهم آمين .

د/ محسن عبد العظيم الشاذلي

أستاذ مساعد – قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

تمهيد

أولا : أقسام التفسير

تشيع مصطلحات عدة –تتعلق بالتفسير – في كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم ، منها (التفسير المأثور ، التفسير بالرأي ، التفسير الإشاري ، التفسير الموضوعي ، التفسير التحليلي ، التفسير المقارن ، التفسير الفقهي ، التفسير الاجتماعي ، التفسير العلمي ...)

وهذه المصطلحات كلها تعرف بأقسام التفسير أو أنواعه ، لكن باعتبارات متنوعة، **فينقسم التفسير باعتبار طريق الوصول إليه** –أو باعتبار أدواته أو باعتبار مصدره– إلى ثلاثة أنواع: التفسير المأثور ، التفسير بالرأي ، التفسير الإشاري ، أما التفسير بالمأثور : فهو تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بكلام الصحابة أو التابعين .

وهذا ما قام به الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن، وهو من أحسن التفاسير بالمأثور، و من أفضل الكتب في هذا النوع من التفسير ، كذلك تفسير بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ، ومعالم التنزيل للبغوي ، وغيرها.

وأما التفسير بالرأي : فهو تفسير بالاجتهاد، أو التفسير دراية .

وينقسم إلى محمود ومذموم، فإن كان الاجتهاد موفقا –أي: مستندا إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيدا عن الجهالة والضلالة–فالتفسير به محمود لا مذموم،

وقد ذكر الإمام الزركشي عدة أمور يجب على المفسر بالرأي أن يستند إليها حتى يكون تفسيره محمودا جائزا ، هي :

أولا : مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك من نقص المفسر عما يحتاج إليه من إيضاح المعنى المفسر، أو أن يكون في ذلك المعنى زيادة لا تليق بالغرض ، أو أن يكون في المفسر زيغ عن المعنى المفسر وعدول عن طريقه حتى يكون غير مناسب له ولو من بعض أنحائه بل يجتهد في أن يكون وفقه من جميع الأنحاء .

ثانيا : مراعاة الوضع الحقيقي والمجازي

ثالثا : مراعاة التأليف .

رابعـــا : أن يـــوافي بـــين المفـــردات وتلمـــيح الوقـــائع " (١) .

و من كتب التفسير بالرأي الجائز: أنوار التنزيل و أسرار التأويل للإمام البيضاوي، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، و البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، وغيرها

وأما التفسير الإشاري: "فهو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصـــوف ويمكـــن الجمـــع بينهـــا وبـــين الظـــاهر والمـــراد أيضـــا، و قد اختلف أهل العلم في جواز هذا النوع – التفسير الاشاري– فمنهم من أجازه و منهم من منعه، على أن من أجازه من أهل العلم لم يجزه على إطلاقه بل اشترط شروطا، حصرها العلامة الزرقاني في خمسة شروط ، هي :

١. ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم
٢. ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر
٣. ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا كتفسير بعضهم قوله تعالى وإن الله لمع المحسنين بجعل كلمة لمع ماضيا وكلمة المحسنين مفعوله
٤. ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي
٥. أن يكون له شاهد شرعي يؤيده". (٢) .

وينقسم التفسير باعتبار الاتجاه(١) –أو ما غلب على التفسير، او باعتبار الأسلوب– إلى التفسير الفقهي والتفسير الأدبي والتفسير العلمي والتفسير الاجتماعي ونحوها.

---

١) البرهان في علوم القران (٢/ ١٧٦) للزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله بـن بهـادر الزركشي (المتـوفى : ٧٩٤هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم– الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٥٨) الطبعة الأولى – دار الفكر ١٤١٦ – ١٩٩٦

جاء في كتاب (فصول في أصول التفسير) : "والاتجاهات في التفسير لها اعتبارات، **فمنها ما يكون بالنظر إلى المذهب العقدي للمفسر**، فمثلاً:

الاتجاه السلفي، يمثله: تفسير ابن جرير وابن كثير والشنقيطي.

والاتجاه المعتزلي، يمثله: تفسير الزمخشري.

والاتجاه الأشعري، يمثله: تفسير الرازي.

ومنها ما يكون بالنظر إلى العلم الذي غلب على التفسير، ومن أمثلته:

• كتاب «معاني القرآن» للفراء، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة، وتمثِّل الاتجاه اللغوي.

• كتاب «إعراب القرآن» للنحاس، و «البحر المحيط» لأبي حيان، و «الدر المصون» للسمين الحلبي، وتمثل الاتجاه النحوي.

• كتاب «الكشاف» للزمخشري، و «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور، وتمثل الاتجاه البلاغي.

• كتاب "أحكام القرآن" للجصاص، وكتاب "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، وتمثل الاتجاه الفقهي.

وهكذا مما تجده مدوناً في كتب علوم القرآن، أو ما كتب في موضوع اتجاهات المفسرين" (٢)

وينقسم التفسير باعتبار منهج المفسر، إلى أربعة أنواع: تحليلي وموضوعي وإجمالي ومقارن وكلا التقسيمين حادث، فلم تكن هذه الاصطلاحات معهودة عند العلماء قديما.

على أن الذي ينبغي التنبيه إليه أن هذه الأقسام كلها تتلاقى ولا تعارض بينها ، وأن محل البحث هنا هو التقسيم باعتبار المنهج ، الذي ينقسم التفسير فيه إلى أربعة أنواع:

أولا : التفسير التحليلي : وهو الذي يتتبع فيه المفسر آيات القرآن كلها أو بعضها أو سورة منه، فيقف عند كل كلمة و لفظة فيفسرها و يقف عند كل آية فيحللها من جميع الوجوه: فيذكر ما يتعلق بالمعاني اللغوية و

---

١) هذا تعبير د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار صاحب كتاب فصول في أصول التفسير (١/ ٣٤) – الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ دار ابن الجوزي

٢) فصول في أصول التفسير (ص: ٣٤) بتصرف يسير

الجوانب الإعرابية و يبين معاني الجمل والتراكيب و يذكر ما ورد في أسباب النزول و إن وردت آثار وأقوال عن السلف في تفسير الآية ذكرها، و يعتبر هذا النوع من التفسير السمة البارزة و النوع المهيمن على أغلب التفاسير إلى زماننا، فأشهر التفاسير كلها من هذا النوع، فتفسير ابن جرير وابن كثير والمحرر الوجيز والجامع لأحكام للقرطبي وأحكام القرآن لابن العربي وغيرها كلها من هذا القبيل، و كل من يؤلف في التفسير فإنه غالبا ينهج الأسلوب التحليلي.

ثانيا : التفسير الموضوعي : وهو نسبة إلى الموضوع ، "والموضوع لغةً: من الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي ، لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده.

ولقد عرف "التفسير الموضوعي" اصطلاحا عدة تعريفات لعل من أدقها أنه : "علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"(١)

والتفسير الموضوعي و إن كان مصطلحا جديدا فإن له جذورا عميقة، وربما يمكن القول بأن نشأة هذا النوع من التفسير ابتدأ من عهد النبي ﷺ ، و أصحابه الكرام عليهم من الله أفضل الرضوان، فقد كان الواحد منهم ربما سأل عن كلمة أشكلت عليه، و هذه الكلمة قد وردت في عدة مواضع من القرآن، فتتكون وحدة موضوعية لفكرة تطرأ في ذهنه يسأل عنها والنبي ﷺ يبين ويزيل الإشكال .

ثالثا : التفسير الإجمالي : وهو التفسير الذي يقتصر فيه المفسر على تفسير الآية جملة واحدة و لا يحللها أو يفك ألفاظها لفظة لفظة كما هو الشأن بالنسبة للتفسير التحليلي. و قيل: التفسير الإجمالي هو "الذي يفسر فيه المفسر المعاني العامة الإجمالية لما يريد تفسيره من معاني الكلمات الكريمة في آية أو آيات أو في سورة أو ما إلى ذلك." ومن المفسرين من استعمل لفظ " التفسير الجملي"، كفخر الدين الرازي في تفسيره مفاتح الغيب،

---

١) مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم (١ / ١٦) الطبعة الرابعة – دار القلم ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

و كـذلك مـن المعـاصرين الشـيخ مصـطفى المراغـي حيـث قـال في مقدمـة تفسـيره في بيـان منهجه: "..المعنى الجملي للآيات: أتبعنا ذلك بذكر المعنى الجملي لهذه الآية أو الآيات ليتجلى للقارئ منها صورة مجملة حتى إذا جاء التفسير وضح ذلك المجمل [1]، فكان الله تعالى يذكر الآية أو الآيات ثم يشرح المفردات ثم يبين المعنى الجملي لهذه الآية أو الآيات قبل أن يشرع في الإيضاح و التفصيل.لكن الذي اشتهر هو مصطلح التفسير الإجمالي .

٤- **التفسير المقارن** : ويراد به- في اصطلاح أهل الفن-: " جمع المفسر لأقوال المفسرين في آية معينة أو سورة معينة، ثم الموازنة بينها، مع بيان الراجح عنده من هذه الأقوال". إذن فهو تفسير يعتمد على جمع الأقوال التفسيرية لإخراج الراجح من المرجوح. و هذا هو المفهوم الذي اشتهر بين أهل العلم، لكن هناك من توسع فأدخل في التفسير المقارن: المقارنة و الموازنة بين القرآن و غيره من الكتب السماوية الأخرى.

ثانيا : النوع المقصود بالبحث :

لا بد من التنبيه أولا أن هذه التقسيمات تتكامل، ولا تتعارض ، فليس معني قولنا أن هذا التفسير تفسير بالمأثور أن لا يوصف بغير ذلك، بل قد يكون مأثورا موضوعيا فقهيا ، وقد يكون رأيا مقارنا عقديا ، وهكذا ، وقد بين ذلك التداخل والتقارب صاحب كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر[2] .

لكن إذا كان الحال أنه متى ما أطلق (التفسير) انصرف الذهن إلى تحليل كلمات القرآن الكريم وبيان معاني آياته بيانا تفصيليا، وهذا هو صلب التفسير التحليلي، ولا يكاد يراد بـ(التفسير)

---

١) تفسير المراغي:(١/ ١٨) . أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)
الطبعة: الأولى، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦

٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (١/ ٢٢) أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي - الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ٥/ ٨/ ١٤٠٦ - الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م

نوع آخر إلا بالوصف ، فيقال (تفسير موضوعي ، أو تفسير إجمالي ، أو تفسير مقارن)

وإذا كان جل ما سبق تأليفه منذ بداية عصر التدوين المستقل للتفسير(١) كان في التفسير التحليلي.

وإذا كانت أسئلة العامة حول القرآن الكريم تكاد يجاب عنها كلها بالتفسير التحليلي وعناصره، التي يستهدفها معظم الناس بالسؤال.

لذلك كله فإن التفسير التحليلي هو عمدة التفاسير وأشهرها ، ولذلك أيضا فهو النوع المراد بالبحث هنا .

ثالثا: أساليب المفسرين لبيان معاني القرآن الكريم في كتاباتهم:

منذ ابتدأ تدوين التفسير التحليلي كعلم مستقل تنوعت أساليبهم في بيان معاني القرآن الكريم، ما بين مقل من العناصر ومكثر منها ، وما بين صاحب منهج ملتزم في تفسيره كل القرآن وآخر لم ينص لنفسه على منهج أصلا أو رسم منهجا ولم يلتزمه، ولنأخذ على ذلك الكلام مثالين لتفسير آيتين في عدد من التفاسير المتنوعة ،

الآية الأولى : قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

---

١) "وذلك في أواخر عهد بني أمية، وأول عهد العباسين ، ... فأصبح التفسير علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورُتِّب ذلك على حسب ترتب المصحف. وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ، وابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وأبو الشيخ بن حبان المتوفى سنة ٣٦٩هـ، والحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وأبو بكر بن مردويه المتوفى سنة ٤١٠هـ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن." . انظر : التفسير والمفسرون (١/ ١٠٤) بتصرف يسير واختصار .

تنوعت أساليب المفسرين في تناولهم لتفسير هذه الآية الكريمة

ففي تفسير الطبري:

جاءت عناصر التفسير كما يلي : معنىٰ كلمة (كتب ، الصيام) ، مفهوم التشبيه ، المراد ب (الذين من قبلكم) ، علاقة الصوم بالتقوىٰ (١)،

والزمخشري تناولها من خلال عدة عناصر ، وهي : بيان المراد ب التشبيه هنا ، متعلق التقوىٰ ، المراد بالأيام المعدودات ، النسخ . (٢)

وفي تفسير الرازي كانت عناصر التفسير: تعريف الصيام ، حقيقة التشبيه ، إعراب كما ، بيان علاقة الصوم بالتقوىٰ (٣)

وعند ابن عطية كانت العناصر : معنىٰ (كتب، الصيام) ، إعراب (الكاف، أياما)، موضع التشبيه . (٤)

وفي تفسير البغوي كانت عناصر التفسير : معنىٰ كتب ، تعريف الصوم ، وجه الشبه ، معنىٰ تتقون (١).

---

١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – المتوفي سنة ٣١٠ هـ- قدم له الشيخ خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقة حميد العطار – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٢) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٦٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الطبعة: الثالثة – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧ هـ

٣) انظر : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٨٣) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٤٩) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ت: عبد السلام عبد الشافي محمد – الطبعة: الأولىٰ – ١٤٢٢ هـ دار الكتب العلمية – بيروت

وفي تفسير القرطبي كانت العناصر: علاقة الآية بما قبلها ، تعريف الصوم وبيان فضله ، إعراب كما، وجه التشبيه . (٢)

وفي البحر المحيط لأبي حيان كانت العناصر : مناسبة الآية لما قبلها ، لطيفة في بناء الفعل "كتب" للمجهول ، معاني الحروف "ال في الصيام والكاف و "ما" في كما كتب ، إعراب (كما) ، وجه الشبه ، مفعول تتقون (٣)

وفي تفسير ابن كثير كانت عناصر التفسير : تعريف الصيام ، بيان المعنى العام للآية ، النسخ ، وجه الشبه بين صيامنا وصيام السابقين (٤)

وصاحب اللباب يجعل العناصر: أصل كلمة الصيام ، سر تقديم (عليكم) على الصيام ، وجوه ورود كلمة (كتب) في القرآن ، وجوه إعراب (كما كتب) ، المراد بالتشبيه في الآية ، العلاقة بين الصوم والتقوى ، وجوه نصب (أياما) (١)

---

١) معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي (١/ ١٩٥) لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ت: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش - الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م دار طيبة للنشر والتوزيع

٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٧٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م - دار الكتب المصرية - القاهرة

٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢/ ١٧٧) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ت: صدقي محمد جميل - طبعة دار الفكر - بيروت ١٤٢٠ هـ

٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧) (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ت: محمد حسين شمس الدين - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت

أما في التحرير والتنوير فتناولها من خلال العناصر التالية : افتتاح الآية بالنداء ، تعريف الصيام، النسخ ، وجه الشبه ، العلاقة بين الصوم والتقوى . (٢)

الآية الثانية : قوله ﷻ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

تناولها الطبري من خلال هذه العناصر: تعريف الأنفال والفرق بينها وبين الغنيمة ، معنى السؤال، سبب النزول، القراءة الواردة فيها ، منسوخة أم محكمة ، المراد بقوله تعالى (وأصلحوا ذات بينكم) . (٣)

وكانت العناصر عند الزمخشري : أحوال النزول (مكية أو مدنية ، وسبب نزولها، القراءات)، لطيفة في الجمع بين لفظ الجلالة والرسول ، معنى ذات بينكم ، وسر التعبير عن الروابط ب(ذات البين) (٤) .

وتكلم الرازي عن زمان النزول، تعريف الأنفال وبيان المراد بها ، وبيان حقيقة السؤال وما يتعلق به في الآية ، منسوخة أم محكمة ، المراد بقوله (وأصلحوا ذات بينكم) ، المعنى العام للآية (٥) .

---

١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣/ ٢٥٠) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لابن عاشور (٢/ ١٥٤) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٣) تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن (١٣/ ٣٦٠- ٣٨٥)

٤) تفسير الزمخشري (٢/ ١٩٣)

٥) تفسير الرازي (١٥/ ٤٤٧)

وتناول ابن عطية مباحث النزول، تعريف النفل، معنى السؤال والمراد به في الآية، حكم الغنائم وكيفية تقسيمها، معنى (واتقوا الله، ذات بينكم) (١)

واقتصر البغوي على أحوال النزول (مدنية، وسبب نزولها)، منسوخة أم محكمة(٢)

وتكلم البيضاوي عن معنى الغنائم، وسر تسميتها كذلك، والمراد بالسؤال، وسبب النزول(٣)

وعند القرطبي : سبب النزول وزمانه ، تعريف الأنفال ، أحكام تتعلق بالأنفال(٤) .

وكذا عند أبي حيان(٥) وابن كثير(٦) مع زيادة : المراد بالنفل، القراءات، منسوخة أم محكمة، تعريف البين ، سر الترتيب بين التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله.

ولم يحفل البقاعي إلا ببيان علاقة السورة بما قبلها ، ومعاني المفردات ، والربط بين أجزاء الآية . (٧)

وأخيرا عند ابن عاشور كانت العناصر: سبب النزول ، حقيقة السؤال ، سر التعبير بالفعل المضارع يسألونك ، تعريف الأنفال ،كيفية تقسيمها ، منسوخة ام محكمة ، العلاقة بين

---

١) تفسير ابن عطية (٢/ ٤٩٦)

٢) تفسير البغوي – طيبة (٣/ ٣٢٣)

٣) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٣٦٢) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤) تفسير القرطبي (٧/ ٣٦٠)

٥) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٦٧)

٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٥)

٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨/ ٢١٧) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

الحديث عن الأنفال وبين الأوامر بعدها ، سر تقديم الأمر بالتقوىٰ علىٰ ما بعده ، تعريف الإصلاح، وذات(١)

ولنا مع هذا العرض السريع وقفات :

الأولى: أن هؤلاء المفسرين ليسوا من زمان واحد، بل هم من أزمنة متباعدة وعصور مختلفة.

الثانية: أن هذه التفاسير ليست من لون واحد من ألوان التفسير، فبعضها بالمأثور والآخر بالرأي، وبعضها فقهي وآخر لغوي.

الثالثة: أن هذه العناصر التي جاءت في تفسير الآيتين الكريمتين هي في مجموعها تمثل غالب عناصر التفسير.

الرابعة: أن هذه العناصر التي اشتمل عليها مجموع هذه التفاسير ليست علىٰ ترتيب واحد في جميعها.

الخامسة: أن ما في هذين المثالين ينسحب غالبا علىٰ مناهج هؤلاء المفسرين في تفاسيرهم، ويتفاوتون فيما بينهم في الاستطرادات الفرعية للعناصر التي يهتم بها كل منهم.

السادسة: يمكن -أخذا من مجموع هذه التفاسير- أن نذكر عناصر التفسير التي يتم بها تفسير الآية الكريمة؛ لننطلق منها إلىٰ بيان وتحليل هذه العناصر، وهي كالتالي :

١. علاقة الآية بغيرها
٢. بيان معاني المفردات في الآية الكريمة.
٣. بيان الأحكام المتعلقة بالآية الكريمة وما فيها من نسخ أو إحكام.
٤. ذكر اللطائف القرآنية ووجوه الإعجاز في الآية الكريمة.
٥. بيان المعنىٰ العام للآية الكريمة.
٦. بيان أحوال النزول (سبب نزول الآية، وزمان نزولها).

---

١) التحرير والتنوير (٩/ ٢٤٨)

٧. بيان ما ترشد إليه.

وسيأتي الحديث -بإذن الله-عن أهمية الحديث عن كل عنصر من هذه العناصر في تفسير النص القرآني الكريم، وضرب أمثلة على ذلك.

على أنه ينبغي التنبيه هنا على عدة أمور:

الأول: أن بعض هذه العناصر قد لا يذكر في التفسير لأنه ليس له محل فيه، كسبب النزول مثلا -إذ ليس كل آيات القرآن ذات سبب-، وكالأحكام، إذ ليست كلها كذلك مشتملة على الأحكام.

الثاني: أن هذه العناصر تعد عناوين لعناصر جامعة، يتم بها التفسير، وما سواها من العناصر إما داخل فيها، وإما يمكن الاستغناء عنه.

الثالث: أن ما نراه عند الكثير من المفسرين -كالطبري والرازي والقرطبي وغيرهم-من استطراد في شرح الآية، وإسهاب في نقل المعاني، ونقل خلاف السابقين فيها، لا يعد سوى تنويع في عرض هذا العنصر وتوسع فيه.

رابعا : تعريف العنصر

يفيدنا النظر في معجماتنا العربية (١) أنّ العنصَـــر ــ بفتح الصّاد وضـمّها ـــ أصل الحسب، ويستعمل بمعنى الداهية، وبمعنى الهمّة والحاجة، وبمعنى الملجأ. والعناصر ـــ عند القدماء ـــ أربعة، وهي: النّار والهواء والماء والتّراب.

---

١) ينظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢١٢، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ، ولسان العرب(٤/ ٦١١) لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ : دار صادر - بيروت ، والقاموس المحيط (ص: ٤٤١) لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي - الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة ، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، وتاج العروس من جواهر القاموس (١٣/ ١٥٢) لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين - الناشر: دار الهداية ، والمعجم الوسيط (٢/ ٦٣١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وفي "العُنْصُرُ، وتفتحُ الصادُ: الأصلُ، والحَسَبُ".

ومنه كلمة عنصرية: وهي التمييز بين الناس على أساس اللون أو العرق أو اللغة.

فإذا جمعنا كلمة "عنصر" وأضفناها إلى البحث: "عناصر البحث" ــ فالمقصود قريب مما قصدوه بالعناصر الأربعة التي تتصل بمعنى الأصل، والمقصود هنا: (بسائطه التي يتركب منها) (١)، وعناصر البحث مثل العناصر الأربعة في أن (كل عنصر من العناصر الأربعة يختص بفوائد ليست لغيره، وكل منها ضروريّ في الوجود وفي التركيب؛ فلكل فضيلة في مقامه وحاله)(٢)، وبالعناصر يتكون البحث ويتشكل؛ ولذلك (يسمّون الهواء "عنصر الحياة"؛ فلولاه لم توجد الحياة الحيوانيّة ولا النّباتيّة على هذه الأرض) (٣).

فعناصر الموضوع أو البحث : أجزاؤه التي يشد إليها ، وتقوم عليها فكرته العامة

وعناصر الخطبة المقدمة والموضوع والختام

وعناصر الكلام الاسم والفعل والحرف

وعناصر التفسير التحليلي نعرضها في مباحث بعد قليل ،

لكن قبل الشروع لابد من التنبيه على أن ترتيب هذه العناصر في البحث هنا إنما هو رؤية الباحث، وليس إعلانا أن هذا الترتيب هو الترتيب الأمثل في التفسير ؛ ذلك أن وجودها أصلا في كتب الأقدمين ليس على ترتيب واحد .

ودونك المباحث :

(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١/ ٣٣.

٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري(٣/ ٢٠٨) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ت: الشيخ زكريا عميرات – الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ دار الكتب العلميه – بيروت .

٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٨/ ٤٢٩) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة النشر: ١٩٩٠ م

المبحث الأول

بيان علاقة النص بغيره

وله صور عدة:

أولها –وهو أشهرها –علاقة النص بما قبله، وبعضهم يسميه (وجه اتصال) كالواحدي وابن فورك وابي حيان والطاهر ابن عاشور وغيرهم، وبعضهم يدعونه (وجه ارتباط) كالزمخشري في الكشاف وابن جزي في التسهيل، والآلوسي، وآخرون يسمونه (وجه المناسبة) كالجرجاني في درج الدرر، والغرناطي في ملاك التأويل، وابن عادل في اللباب، والخفاجي في حاشيته على البيضاوي.

وهذا تنوع في التسمية وليس تضادا بين المفسرين، لذا؛ فأيا كان الاسم الذي أطلقه عليه سادتنا المفسرون، فالمراد واحد فقط، وهو بيان أن النص المفسر متعلق بما قبله بوجه ما، رغم ما قد يكون بينهما من اختلاف في الموضوع أو تباعد في الزمان، سواء كان النص المفسر آية في سورة، أو سورة مستقلة.

ثانيها : ذكر ما يوافق معناه في مواطن أخرى من القرآن الكريم ، كما يفعل ذلك الحافظ ابن كثير كثيرا في تفسيره .

ثالثها : دفع ما يتوهم من تعارض بينه وبين آيات أخرى ، كما دأب على ذلك البيضاوي في تفسيره .

ومن يطالع التفاسير يرى أن كثيرا من المفسرين يقتصر في التطبيق هنا –أعني(علاقة الآيات ببعضها)– على القسم الأول فقط ، وهذا قد يخل كثيرا بالتفسير ،

فربما –حين تحاول تفسير حكم شرعي في آية– تجد آية أخرى تنادي بحكم آخر يتعارض مع الحكم الذي تحمله هذه الآية، وفي هذه الحالة إما أن يحكم المفسر بالنسخ بين الآيتين ، أو يجمع بينهما –وهو الأسلم والأولى– .

وربما تجد ظاهر هذه الآية –محل التفسير– يتعارض مع ظاهر آية أخرى في مكان آخر في القرآن الكريم ، وهو المعروف ب(موهم الاختلاف والتناقض)

وعمل المفسر هنا داخل تحت (علاقة الآيات ببعضها) فلابد للمفسر من الكلام عنه حتى يتم له في الآية استقامة معناها وتناسقه مع معاني الآيات الأخر.

أهمية هذا العنصر في التفسير:

وتبرز أهمية هذا العنصر من عدة وجوه:

أولا : إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو (الإعجاز بالتناسب):

حيث إن هذا الكتاب تنوعت أساليبه، وتعددت موضوعاته، وتباعد الزمن بين نزول أجزائه، وخاطب كل الناس على ما بينهم من اختلاف،

ومتى وجد أحد هذه الأمور في كتاب بشر فإنك تجد فيه -في الغالب- تناقضا واختلافا بين بعض أجزائه.

أما القرآن الكريم فقد اجتمعت فيه كل هذه الأمور وغيرها ومع ذلك لم يسلم فقط من التناقض، بل ترابطت أجزاؤه وتناسبت موضوعاته، يقول العلامة ابن عاشور: "الْأَصْلُ فِي آيِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْآيَةِ وَلَا حقتها تَنَاسُبٌ فِي الْغَرَضِ أَوْ فِي الِانْتِقَالِ مِنْهُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْمُنْتَظِمِ الْمُتَّصِلِ" (١) فارجع البصر هل ترى من فطور بين أجزائه ؟!! ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير .

ثانيا / بيان أن القرآن الكريم كتاب واحد، وإن تعددت أجزاؤه وسوره، وتنوعت موضوعاته وأهدافه، وأن النبي ﷺ ليس له عمل في القرآن إلا نقله إلينا ثم بيانه لنا، وأن الصحابة الكرام ﷺ لم يزيدوا في القرآن حرفا ولا نقصوا منه ، ولا بدلوا فيه ، ومن ثم فلا اختلاف أو تنافر بين سوره وآياته ، بل ينتقل القارئ بينها في سهولة ويسر ، دون أدنى شعور باختلاف أو اضطراب {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [النساء: ٨٢].

ثالثا / التأكيد على أن ترتيب القرآن الكريم في المصحف هو الأصل لا ترتيب النزول ، ومن ثم يحرم على المسلم أن يقرأ القرآن بترتيب غير هذا الترتيب ، لأنه بهذا

---

١) التحرير والتنوير (١/ ٧٩)

الترتيب فقط تتلاحم أجزاؤه وتتصل سوره وآياته ، يقول الشيخ محمد عبد الله دراز عن سور القرآن : " ... إن كانت بعد تنزيلها جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة من أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة" (١)

رابعا / التأكيد على محورية القرآن الكريم حول أهدافه (٢)، وأن هذه الأهداف تتكامل ويقوي بعضها بعضا، والقرآن الكريم لا يخرج في سوره وآياته عن هذه الأهداف وما يتعلق بها ويؤدي إليها .

خامسا / التأكيد على أهمية (السياق)(٣) في الفهم الصحيح للنص القرآني؛ والمعاني الإضافية التي يفيدها ترتيب آي القرآن وسوره، والانطلاق في التفسير منه.

ومما سبق يمكننا إدراك سعة مفهوم عنصر (العلاقة بين الآيات) ، وتقسيمه إلى قسمين ، **الأول : العلاقة بين الآيات المتوافقة** ، سواء كانت متجاورة في سورة واحدة ، أو متباعدة –في أكثر

---

١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن (ص: ١٩٤ ، ١٩٥) د. محمد عبد الله دراز – اعتنى به وخرج أحاديثه:عبد الحميد الدخاخني طبعة دار طيبة للطبع والنشر – الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ .

٢) فصلت القول في أهداف القرآن الكريم في بحثي (ما لا يسع المفسر إغفاله وتركه من ضوابط وأسس التفسير) نشر في العدد الثاني من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ ٢٠١٩ م .

٣) السياق : هو البيئة اللغوية أو غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتكشف معناه. وأعني بالبيئة اللغوية :ما صاحب الكلمة من معطيات ظاهرة تحدد معناها والمراد بها ، ومن هذه المعطيات : النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والأسلوب.، أما البيئة غير اللغوية : فأعني بها العناصر غير اللغوية التي يكون لها دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام وذلك كشخصية المتكلم وشخصية المخاطب وما بينهما من علاقات وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به . من بحث للمؤلف بعنوان (نظرات في علم المناسبات ص:٤٨) نشر في المجلد الثاني لمجلة كلية الآداب جامعة دمياط . العدد الثاني يوليو ٢٠١٢

من سورة- لكنها في معنىٰ واحد ، **القسم الثاني : العلاقة بين الآيات** التي يوهم ظاهرها التعارض .

أولا : أمثلة للعلاقات في القسم الأول

مثال أول : العلاقة بين سورتي الفاتحة (المكية) والبقرة (المدنية):

جاء في (أسرار ترتيب القرآن) للعلامة الكرماني : " قال بعض الأئمة: تضمنت سورة الفاتحة: الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليها في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهود والنصارىٰ، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين" (١)

"وقال بعضهم: افتتحت البقرة بقوله: (الٓمٓ ذَٰلِكَ الكِتابُ لا ريبَ فيهِ) فإنه إشارة إلىٰ الصراط المستقيم في قوله في الفاتحة: (اهدِنا الصِراطَ المُستَقيم) فإنهم لما سألوا الله الهداية إلىٰ الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه، ...

ووجه ثالث : أن الله تعالىٰ لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدىٰ، قال: قد أعطيتكم ما طلبتم: هذا الكتاب هدىٰ لكم فاتبعوه، وقد اهتديتم إلىٰ الصراط المستقيم المطلوب المسئول .

ووجه آخر: أنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة: فذكر الذين علىٰ هدىٰ من ربهم، (الذين أنعمت عليهم)، والذين اشتروا الضلالة بالهدىٰ، وهم الضالون، والذين باءوا بغضب من الله، وهم المغضوب عليهم" . (٢)

مثال ثان: من العلاقة بين الآيات

في سورة آل عمران جاءت آيات في بيان أحداث غزوة أحد من قوله تعالىٰ ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم... ﴾

---

١) أسرار ترتيب القرآن - (١ / ١) لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي - الناشر : دار الاعتصام - القاهرة -تحقيق : عبد القادر أحمد عطا دون تاريخ

٢) أسرار ترتيب القرآن - (١ / ٢) بتصرف يسير .

ثم في أثناء الحديث عن الغزوة قوله تعالى﴿ : يا أيها الذين آمنوا لا تـأكلوا الربـا أضـعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

ثم عودة إلى أحداث الغزوة وأخذ العظات والعبر منها بعد سبع آيات في التعقيب على آيـة الربا : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾

وقد يستغرب القارئ ويستبعد وجه المناسبة بين الآيات في سرد أحداث غزوة، وبين آيات في النهي عن أكل الربا .

وبالرجوع إلى أسباب النزول، ندرك أن حادثة الأصيرم كان سببها التعامل بالربا، فقد روى أبو داود في سننه عن أبي هريرةﷺ أن عمرو بن وقشﷺ كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال أين بنو عمي؟ قالوا : بأحد قال : أين فلان ؟ قالوا : بأحد، قال :أين فلان ؟ قالوا :بأحد .فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا :إليك عنا يا عمرو، قال :إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح، فحمل إلى أهله جريحًا فجاء سعد بن معاذﷺ ، فقال لأخته : سليه حمية لقومك أو غضبا لهم ؟ أم غضبًا لله عز وجل؟ فقـال :بـل غضـبًا لله عـز وجـل ورسوله ﷺ ، فمات فدخل الجنة، وما صلى لله عز وجل صلاة (١) ،

ولذلك جاء التعقيب على آية الربا بالمسارعة على التوبة والاستغفار وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين المنفقين أموالهم في السراء والضراء المتصـفين بحسـن الأخـلاق ..فـإن المتعاملين بالربا يتصفون بعكس تلك الصفات ..فهم يصرون على الموبقات ويبخلون بالأموال ولا

---

١) حديث حسن . انظر : سنن أبي داوود(٢/ ٢٤) كتاب الجهاد باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله عز وجل . – سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد – الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

يعفون أحدًا من المحاسبة والتشديد عليهم ويصرون على المعصية، فإن أخلاق المرابين من أسوأ الأخلاق وأصلبها .وتلك الأخلاق حالت دون دخول (الأصيرم) في الإسلام ومشاركة إخوانه في الجهاد في سبيل الله، إلى أن جاءت غزوة أحد فكان من شأنه ما كان.

إذن فالحادثة من جملة الأحداث التي وقعت في غزوة أحد، فوضعت بين الآيات التي تتحدث عن الغزوة وعبرها والدروس المستقاة منها .

وليس معنى وجود العلاقة بين السورتين أو بين الآيتين أنها تظهر لكل واحد ، كما ليس معنى خفائها على بعضهم أنها غير موجودة ، فقد تخفى على بعض الناس وتظهر لبعض ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ،

فالمطلوب من المفسر أن يبحث عنها دون تكلف أو تعسف ؛ حتى يظهر ترابط أجزاء القرآن الكريم ، بما يؤكد إعجازه من هذا الوجه .

ثانيا : أمثلة للحديث عن (العلاقة بين الآيات) في القسم الثاني :

مثال أول :

- في قَوْله تَعَالَى : { يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ }

قال ابن العربي : "اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي نَسْخِ هَذِهِ الْآيَةِ ؛ فَكَانَ عَطَاءٌ يَحْلِفُ أَنَّهَا ثَابِتَةٌ ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا عَامَّةٌ فِي الْأَزْمِنَةِ وَهَذَا خَاصٌّ ؛ وَالْعَامُّ لَا يُنْسَخُ بِالْخَاصِّ بِاتِّفَاقٍ .

وَقَالَ سَائِرُ الْعُلَمَاءِ : هِيَ مَنْسُوخَةٌ ؛ وَاخْتَلَفُوا فِي النَّاسِخِ ؛ فَقَالَ الزُّهْرِيُّ : نَسَخَهَا قَوْله تَعَالَى : { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } وَقَالَ غَيْرُهُ : نَسَخَتْهَا : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ } وَقَالَ غَيْرُهُ : نَسَخَهَا { غَزْوُ النَّبِيِّ ﷺ ثَقِيفًا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَإِغْزَاؤُهُ أَبَا عَامِرٍ إلَى أَوْطَاسَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ } ؛ وَهَذِهِ أَخْبَارٌ ضَعِيفَةٌ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : نَسَخَتْهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ عَلَى الْقِتَالِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، وَهَذَا لَا حُجَّةَ فِيهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ بِمَكَّةَ ، وَأَنَّهُمْ عَازِمُونَ عَلَى حَرْبِهِ ، فَبَايَعَ عَلَى دَفْعِهِمْ لَا عَلَى الِابْتِدَاءِ .

وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ : نَسَخَهَا قَوْله تَعَالَى : { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } يَعْنِي أَشْهُرَ التَّسْيِيرِ ، فَلَمْ يَجْعَلْ حُرْمَةً إلَّا لِزَمَانِ التَّسْيِيرِ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ رَدٌّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حِينَ أَعْظَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقِتَالَ وَالْحِمَايَةَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ } وَهِيَ الْكُفْرُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ ؛ فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ تَعَيَّنَ قِتَالُكُمْ فِيهِ" (١)

- وفي قوله ﷻ ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾

قال أبو بكر الجصاص : " لم يختلف السلف في أن ذلك كان حد الزانية في بدء الإسلام وأنه منسوخ غير ثابت الحكم " ثم ساق بإسناده حديثا عن ابن عباس في قوله تعالى (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم.. إلى قوله تعالى ... سبيلا) قال وقال في المطلقات (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال هذه الآيات قبل أن تنزل سورة النور في الجلد نسختها هذه الآية ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾.

فالكلام عن النسخ في الآية إنما هو في باطنه كلام عن علاقة هذه الآية بالآيات التي تنادي بحكم آخر غير الموجود في الآية .

---

١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٩٠) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)- راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

مثال آخر :

- في قوله ﷻ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]

قال العلامة ابن عاشور : "وقد دلت هذه الآية على أنّ من القرآن محكماً ومتشابهاً ، ودلت آيات أخر على أنّ القرآن كلَّه محكم ، قال ﷻ ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ (هود : ١) وقال : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ (يونس : ١) والمراد أنّه أحكم وأتقنَ في بلاغته ، كما دلت آيات على أنّ القرآن كلّه متشابه ، قال تعالى : ﴿ اللهُ نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾ (الزمر : ٢٣) والمعنى أنّه تشابه في الحسن والبلاغة والحقيّة ، وهو معنَى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوَجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ فلا تعارض بين هذه الآيات : لاختلاف المراد بالأحكام والتشابه في مواضعها ، بحسب ما تقتضيه المقامات " (١) .

- وفي قوله تعالى ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾

قال أيضا : "واعلم أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين الآيات التي جاء فيها ما يقضي أنهم يعتذرون نحو قوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ (غافر : ١١) لأن وقت انتفاء نطقهم يوم الفصل .

وأما نطقهم المحكي في قوله : (ربنا أمتنا اثنتين) فذلك صراخهم في جهنم بعد انقضاء يوم الفصل " (٢) .

وبذا تظهر قوة الترابط بين الآيات القرآنية ، المتجاورة والمتباعدة على حد سواء .

---

١) التحرير والتنوير (٣/ ١٥٦)

٢) المصدر السابق(٢٩/ ٤٤٠)

المبحث الثاني

بيان واعتبار أحوال النزول

ثاني ما ينبغي أن يلتفت إليه المفسر ويتحدث عنه هو (أحوال نزول النص) ، وأعني بها كل ما يتعلق بنزول النص ، لماذا ومتى وكيف نزل ؟ والإجابة عن الثلاثة يكون بالكلام عن المباحث التي تتعلق بالنص من سبب النزول ، وزمانه ، والقراءة التي يقرأ بها، وما يتبع ذلك من اسم السورة وبيان فضلها إن صح فيه شيء .

وتبرز أهمية هذا العنصر فيما يلي :

أولا: معرفة الجو العام الذي نزل فيه النص القرآني، حتى يمكن فهم النص في سياق نزوله

وأعني ب(الجو العام) ما يعم (سبب النزول) و(المكي والمدني) و(حال المخاطبين) فمراعاة (سبب النزول) تساعد على الفهم السليم : ومثال ذلك ما أخرجه البخاري بسنده أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِبَوَّابِهِ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ «إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ، بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ»، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ} حَتَّى قَوْلِهِ: {يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} [آل عمران:١٨٧ – ١٨٨] (١) .

وكذلك (المكي والمدني) وسيأتي مثاله في (ثالثا) بعد قليل (٢)

---

١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري(٦/ ٤٠) لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢) صفحة ٢٣

ثانيا: تقديم التفسير النقلي على التفسير العقلي

يكاد عمل المفسرين في تفاسيرهم يكون متواترا في القول بأن التفسير المأثور أولى من التفسير بالرأي، وأن أوثق مصادر التفسير المأثور هو القرآن الكريم جل منزله، ثم الرسول ﷺ ؛ لأنه المكلف بالبلاغ، ثم صحابته الكرام ؛ لما شاهدوه من وقائع التنزيل ،

وبناء على هذا فالبحث عن التفسير ينبغي أن يكون في هذه المصادر أولا .

كما يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وَالْغَرَضُ أَنَّكَ تَطْلُبُ تفسيرَ الْقُرْآنِ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ تجدْه فَمِنَ السُّنَّةِ، كَمَا قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: "بِمَ تَحْكُمُ؟ ". قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ ". قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ ". قَالَ: أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي. قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: "الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وفَّق رَسُولَ رسولِ اللَّهِ لِمَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ"

فالقراءات المتواترة قرآن، وهذا التنوع في القراءات بمنزلة تعدد الآيات، وهي –أي القراءات الأخرى في الآية–إما أن تضيف حكما جديدا غير الذي أفادته القراءة الأولى، أو تبين معناها.

فمن الأول قوله تعالى (ذو العرش المجيد) "قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ بخفض الدَّال وَالْبَاقُونَ برفعها" (١) فعلى الخفض يكون صفة للعرش ، ويصح بناء عليها أن يوصف العرش بالمجيد، صفة المجيد –هنا– لله ﷻ لزوما، فإذا كان عرشه ﷻ مجيدا فثبوت المجد له ﷻ ألزم وأولى، وعلى قراءة الرفع يكون (المجيد) خبرا بعد خبر، أي الله سبحانه هو الغفور، والودود، وذو العرش، والمجيد، ويكون ثبوت الصفة (المجيد) له ﷻ هنا ثبوتا أوليا . فكل من القراءتين أفاد معنى ، والمفسر يحتاج أن يقف على معنى كل منهما .

---

١) التيسير في القراءات السبع (ص: ٢٢١) عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

ومن الثاني قوله تعالى (حتى يطهرن) "يقرأ بالتخفيف، وماضيه طهر أي انقطع دمهن، ويقرأ بالتشديد، والأصل يتطهرن أي يغتسلن فسكن التاء وقلبها طاء وأدغمها" (١) فتحمل القراءة الأولى على الثانية ، وتكون تفسيرا لها .

وفي كلا النوعين تقديم للقرآن على غيره في التفسير واستنباط الأحكام.

وبيان أسباب النزول يوضح الجو والمناسبة الذي نزلت فيه الآية أو السورة، وهو من التفسير المأثور الذي له حكم المرفوع " لِأَنَّ جَمَاهِيرَ الْمُحَدِّثِينَ، وَالْأُصُولِيِّينَ عَلَى أَنَّ مَا أَسْنَدَهُ الصَّحَابِيُّ إِلَى عَهْدِ النَّبِيِّ – ﷺ – لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ وَأَقَرَّهُ"(٢). واعتبار السبب في التفسير يساعد في توضيح المعنى وتقريبه ،

قال الامام الواحدي –عن أسباب النزول– : " هِيَ أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا"(٣).

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى في سورة البقرة: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} "فهذا اللفظ الكريم يدل بظاهره على أن للإنسان أن يصلي إلى أية جهة شاء ولا يجب عليه أن يولي وجهه شطر البيت الحرام لا في سفر ولا حضر. لكن إذا علم أن هذه الآية نازلة في نافلة السفر خاصة أو فيمن صلى باجتهاده ثم بان له خطؤه تبين له أن الظاهر غير مراد إنما المراد التخفيف على خصوص المسافر في صلاة النافلة أو على المجتهد " (٤) .

---

١) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات (١/ ٩٤) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) تحقيق إبراهيم عطوه الناشر المكتبة العلمية– لاهور– باكستان

٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٣٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

٣) أسباب النزول (ص: ٨) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان –الناشر: دار الإصلاح – الدمام – الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٠٩) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه– الطبعة: الثالثة

والمكي والمدني يعرف به المكان الذي نزلت فيه الآية أو السورة، كما يعرف به الزمان الذي نزلت فيه الآية أو السورة، قبل الهجرة أو بعدها(١)، وتبعا لذلك يعرف المخاطبون بالنص القرآني وقتها، مسلمون أو مشركون أو أهل كتاب، ولكل منهما خطابه، كما يعرف به "الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي". (٢)

ولأنه لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة فله -كذلك- حكم المرفوع -بشروطه- فهو لا يخلو أن يكون من قول نبينا ﷺ حكما، أو من قول صحابته حقيقة. وسيأتي المثال على ذلك في (ثالثا).

ثالثا: فهم النص في بيئته الزمنية

يتنوع استعمال القرآن الكريم للفظة الواحدة، وتتعدد دلالاتها حينئذ، ويفصل في تعيين المراد من هذه المعاني زمان نزولها، والمخاطبون بها، أومن حكيت عنهم، ومن ثم لا يصح من المفسر- أن يغفل بيئة نزول القرآن الكريم؛ لأنها تعينه على معرفة وتحديد المراد الأصلي من الألفاظ.

مثال: المراد بالزكاة في قوله ﷻ ((وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة)) قال ابن عطية: "قال ابن عباس والجمهور: الزَّكاةَ في هذه الآية: لا إله إلا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون: (هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى) [النازعات: ١٨] ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإنما هذه زكاة القلب والبدن، أي تطهيره من الشرك والمعاصي، وقاله مجاهد والربيع " (٣).

فنجده رحمه الله قد اعتمد في ترجيحه هنا (زمن نزول السورة) وأن الزكاة لم تكن قد فرضت بعد .

---

١) وهو المشهور في ضابط المكي والمدني . انظر : البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٥)

٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٩٥)

٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٥) وانظر أيضا :

تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩/ ٦١) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨/ ٢٨٦) لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ هـ) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٣٤٠)، تفسير البغوي (٧/ ١٦٤) ،

وليس معنى هذا أن يبقى النص حبيسا عن العمل به في غير هذا المضمون ، بل معناه أن نفصل بين التفسير -الذي هو بيان المراد بالنص في سياقه- وبين استنباط الحكم من النص -الذي هو إجراء اللفظ على عمومه- والعمل به ، وهذا قياسا على القاعدة : " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " عند الجمهور لأن "أفراد غير السبب كلها يتناولها الحكم عند الجمهور ما دام اللفظ قد تناولها " (١) كما هنا.

وعليه فليس سديدا أن يفسر لفظ (الزكاة) في المثال السابق -ابتداء- بالزكاة المفروضة ، لأن السورة كلها مكية، والمعروف أن الزكاة بنوعيها -الفطر والمال- لم تفرض إلا بعد الهجرة، ولكن الصواب أن تفسر بمفهوم الزكاة في اللغة وهو التطهير، ثم ينسحب الحكم بعد ذلك على الزكاة الشرعية، والذي دعا جمهور المفسرين إلى القول بذلك هو أن زمن نزول السورة كان معروفا، وعرف معه أن هذه الكلمة (الزكاة) لم يكن لها حقيقة شرعية وقتها ، فحملها على الحقية اللغوية ابتداء هو الأولى والأليق .

تفسير ابن كثير (٧/ ١٦٤)، اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٠٢) لابن عادل (ت : ٨٨٠ هـ) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٨/ ٣٢٥) ١٣٣٢ هـ ، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٧/ ١٠٧) وغيرها

وإن كان الباحث يتحفظ على أن هذا قول الجمهور ؛ -لأنني وجدت كثيرا من المفسرين -ممن سبق ابن عطية- نقل هذا القول ، لكن لم يقل به - إلا أن مكية السورة -كما ذكرت- يرجح هذا المعنى . كما أن وروده ، مع صحة نسبته إلى ابن عباس ﷺ يجعل الأخذ به أولى مما نقل عن غيره . والله أعلم .

١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٢٧)

المبحث الثالث

توضيح لغة النص

ومما ينبغي الحديث عنه في التفسير (مفردات النص الكريم) سواء كان ببيان معاني الحروف واستعمالاتها، أو ببيان معاني كلماته ، أو إعرابها ، أو تحديد المراد منها في مكانها ،

ذلك أن القرن الكريم نزل بلغة العرب ، فخاطبهم بما يعرفون ، إذ كانت سوره وآياته من كلماتهم التي تدور على ألسنتهم ، ولم يخرج عنها ، ولا عن أساليبهم في الكلام والإعراب ، إنما تفنن وأبدع في ما ألفوه من أساليبهم تلك ؛ حتى أعجزهم أن يأتوا بسورة منه .

أهمية الحديث عن هذا العنصر :

أولا: التأكيد على عربية القرآن الكريم الخالصة

ثارت -في القديم والحديث- مزاعم أن محمدا ﷺ تعلم القرآن من شخص غير عربي، وبالتالي ففي القرآن كلمات وتراكيب غير عربية .

وقد كفانا كفار مكة بأنفسهم حين أقروا مذعنين أنهم لم يجدوا في القرآن كلاما غير عربي ، وقال قائلهم " وَاللهِ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ" (١)

لكن يبدو أن شيئا من دخان هذه المزاعم قد غشي بعضا من علماء المسلمين ، فاختلفوا هل في القرآن كلام غير عربي !!

قال القرطبي - رحمه الله - في مقدمة تفسيره : " لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب ، وأن في القرآن أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط " (١).

---

١) دلائل النبوة (٢/ ١٩٩) -أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: د. عبد المعطي قلعجي - الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث -الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

واختلفوا : هل فيه " ألفاظ أعجمية مفردة " ؟ .

فذهب الجمهور إلى عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن ، وذهب آخرون إلى وجودها، وتوسط طرف ثالث فتأول وجودها على أنها مشتركة بين العرب وغيرهم، وعلى أن العرب استعملوها وعرَّبوها فصارت تنسب إليهم ، لا باعتبار أصلها ، بل باعتبار استعمالها وتعريبها.

والحق: أن وجود بعض الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم لا يُخرجه عن كونه عربيّاً ؛ لأنها قليلة ، والعبرة للأكثر ، كما أن من يعرف كتابة اسمه فقط لا يُخرجه عن كونه أمِّيّاً ، وأن هذه الألفاظ هي أعجمية في الأصل ، عربية بالاستعمال والتعريب .

ولا مجال -بعد ذلك- للطعن في كتاب الله تعالى بمثل هذه الشبهة ، وأنه لو كانت مجالاً للطعن في القرآن لما تركها أسلاف هؤلاء من مشركي مكة ومن بعدهم ، وهم أهل لغة ، ولم يتركوا مجالاً لأحدٍ للطعن في النبي ﷺ وكتاب ربه إلا قالوه ،

ومن هنا كانت أهمية كلام المفسر عن معاني الألفاظ القرآنية وبيان أصالتها في العربية نشأة أو استعمالا ؛ ليؤكد هذه الحقيقة التي لا تنكر .

ثانياً: تحديد أسلوب الكلام

تعددت أساليب القرآن الكريم بتعدد أساليب العرب في كلامهم، فكان منها الخبر والإنشاء.

ويتنوع الأسلوب الخبري على حسب المخاطب به فمنه خطاب خالي الذهن، ومنه المتردد، ومنه المنكر، ولكلٍ أسلوبه، وهو على حالين لا ثالث لهما إما حقيقة أو مجاز.

كما يتنوع الإنشاء بين صوره جميعا فيأتي منه الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام، والدعاء، وغيرها

ويحل الأسلوب الخبري محل الانشائي -والعكس- في بعض الأحوال، ولا ريب أن تحديد نوع الأسلوب في الكلام يترتب عليه إدراك المعنى الصحيح، فلا تحمل الحقيقة على المجاز ولا العكس، ولا يلجأ إلى التقدير طالما صح المعنى بدونه ولا العكس، ولا تُحَمَّل الحروف ما لا تحتمله من المعاني .. وهكذا.

---

١) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي " (١ / ٦٨)

الترتيب في اختيار معاني ألفاظ القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز

الحقيقة: (اللفظ المستعمل فيما وُضِع له أولاً في الاصطلاح الذي به التخاطب) (١)، لغويًّا كان التخاطب أو شرعيًّا أو عرفيًّا، وقد استقرَّ هذا التعريف، فاشتهر بين الأصوليين. وقد اشترطوا لدلالة اللفظ على الحقيقة شرطين:

الأول: الوَضْع، وهو تخصيص اللفظ بإزاء المعنى، وجعله دليلاً عليه، ولا حقيقة لغوية إلا باستعمالها فيما وُضِعت له في الأصل؛ فالوضع هو الأساس الذي يخضع له المنطق اللغوي الأصلي، وإنما يُعرَف هذا بالسماعِ من أهل اللغة.

الثاني: الاستعمال، وللاستعمالِ أهمية كبيرة في تحديدِ دلالة اللفظ؛ فكثرة استخدام العام في بعض ما يدل عليه يُزِيل مع تقادُم العهد عمومَ معناه؛ كاستعمال لفظ: (الصلاة) في الشرع في العبادة المخصوصة، بعد أن كانت عامةً في الدعاء لغةً، وكذلك كثرة استخدام الخاص في معانٍ عامة يزيل مع تقادمِ العهد خصوصَ معناه، وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي تؤدي غالبًا إلى انقراضِ معناها الحقيقي، فينتقل اللفظُ إلى معنى جديد.

وعليه، قد يتحقق للألفاظ مدلولات جديدة عن طريق العُرْف بشيوعها وشهرتها فيه؛ مما ينسي المدلول الأول، أو يجعله لا يتبادر إلى الذهنِ عند إطلاقه من اللفظ، ولا سيما في مدلولات الشرع التي غُيِّرت عن مدلولاتِها اللغوية (٢).

فالألفاظ الموضوعة أولاً في ابتداء الوَضْع في اللغة لا توصَفُ بكونها حقيقية ولا مجازًا... وإنما تصير حقيقة أو مجازًا باستعمالها بعد ذلك(٣)، والحقيقة قد تصير مجازًا، وكذلك العكس؛ فالحقيقة إذا قلَّ استعمالُها صارت مجازًا عُرفًا، والمجاز إذا كثُر استعماله صار حقيقة بالعُرْف أيضًا.

---

١) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٢٩). أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١ هـ) المحقق: عبد الرزاق عفيفي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت .

٢) العُرف والعادة في رأي الفقهاء؛ د أحمد فهمي أبو سنة ص (١٦) ط: ميراث النبوة للنشر والتوزيع ٢٠٠٤

٣) الإحكام؛ للآمدي (١/ ٢٦).

على أن الحقيقة تنقسم لعدة أقسام:

القسم الأول: الحقيقة اللغوية: وهي الأصل، وهي التي وضعها واضع اللغة للفظ "(١) كلفظ (الصلاة) في الدعاء، و(الطلاق) في حل القيد، وسميت بالوضعية؛ لاستعمالِها في موضعها الأصلي، وهذه التي يسميها الآمدي: اللغوية الوضعية؛ أي (اللفظ المستعمل فيما وُضِع له أولاً في اللغة) (٢) فالحقيقة اللغوية الوضعية تعني بهذا المفهوم: الدلالات الأولى أو الأسبق زمنًا قبل أن يعتريَها تغيُّر دلالي؛ كألفاظ: الأرض والسماء، والحَر والبر، حين تستعمل بمعانيها الشائعة التي هي دلالاتُها الأولى (٣).

القسم الثاني: الحقيقة العرفية:

وهي التي يتحدث عنها الرازي فيقول: إنها (التي انتقلت عن مسماها إلى غيره بعُرْف الاستعمال) (٤)،وهذه يمكن أن تنقسم إلى نوعين؛ الأول: العرفية العامة: وهي التي وضَعها أهل العُرف العام؛ كالدابة لذوات الأربع، وهي في اللغة: لكل ما دب على وجه الأرض؛ فلفظ (الدابة) حقيقة وضعية في استعمالها في كل ما يدب على الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، وهي حقيقة عُرْفية في تخصيصه بذوات الأربع، أو بالدواب ذوات الحمل، أو ببعضها دون بعض في البيئات المختلفة؛ فالتغيُّر هنا نتيجة استعمالٍ كُتِب له الشيوع والشهرة بين جميع الناطقين، أو بين أبناء إقليم معين أو زمن معين؛ ولذلك وُصِفت الحقيقة اللغوية هنا بأنها عُرْفية عامة، والنوع الثاني: هو الحقيقة العُرْفية الخاصة: وهي الألفاظُ التي تغيَّرت دلالاتها بعُرْف الاستعمال الخاص؛ أي بسبب استعمالها كمصطلحاتٍ عِلمية لطوائفَ خاصة من الناس؛

---

١) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (٢/ ١٢) الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي
الناشر: دار الخير للطباعة ، دمشق – سوريا- الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٢) الإحكام؛ للآمدي (١/ ٢٦).

٣) دراسة المعنى عند الأصوليين ص (١٠٣) طاهر سليمان حمودة طبعة دار الجيل للنشر والتوزيع ٢٠٠١ .

٤) المحصول في علم الأصول (١/ ٤) – لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي – الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض- الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ تحقيق : طه جابر فياض العلواني.

كالعام والخاص عند الأصوليين، والفاعل والمفعول به عند النحويين، والجوهر والعرَض عند الفلاسفة والجمهور(١).

القسم الثالث: الحقيقة الشرعية:

وهي (كلُّ لفظ وُضِع لمسمىً في اللغة، ثم استُعمِل في الشرع لمسمًّى آخرَ، مع هِجران الاسم للمسمىً اللغوي بمضيِّ الزمان وكثرةِ الاستعمال في المسمىً الشرعي) (٢)؛ فلفظ (الصلاة) بعد أن كان موضوعًا في اللغةِ ليدلَّ على الدعاء، أصبح له دلالةٌ شرعية على شَعِيرة معيَّنة من شعائر الإسلام، ولفظ (النكاح) أصبحت حقيقتُه الشرعية عَقْدَ الزواج، بعد أن كان موضوعًا في اللغة للمعاشرة الجنسية، وأيضًا استعمال (الربا) في الفوائد الرِّبوية التي يأخذها المرابي مقابل الدَّين، أصبح حقيقة بعد أن كان الربا موضوعًا في اللغة لكل زيادةٍ مطلقًا، (لأن عُرْف الشارع في تنزيل الأسماء الشرعية على مقاصده كعُرْف اللغة) (٣).

أي أن كثيرا من المصطلحاتِ القرآنية في العبادة وغيرها -كالصلاة والزكاة والصيام والهدي والسعي ونحوها- محوَّل عن معانٍ لغوية عامة إلى معانٍ اصطلاحية خاصة، عن طريق القصد والعَمْد(٤).

---

١) المحصول (١/ ٤١٣)، وانظر: إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٩٥ - ٩٨). المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : ١٢٥٠هـ)- المحقق : الشيخ أحمد عزو عناية ، الناشر : دار الكتاب العربي - الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٢) ميزان الأصول في نتائج العقول(١/ ٥٣٨). لعلاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ) حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر - الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

٣) المستصفى من علم الأصول(١/ ٣٥٢). - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي-تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان -الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٤) اللغة العربية معناها ومبناها؛ دكتور تمام حسان ص (٣٢٢). الناشر: عالم الكتب - الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

وعليه فالكلمة في القرآن الكريم ربما جاءت على الحقيقة وربما جاءت على المجاز، وكلاهما من أساليب العرب في كلامهم، وربما كانت الحقيقة لغوية أو عرفية أو شرعية ، فعلى المفسر ـ أن يعرض للألفاظ من هذه الجهة حتى يعلم ما الذي ينبغي تقديمه من هذه الاعتبارات ، وهي لا تخرج عن واحد من ثلاثة احتمالات:

الأَوَّلُ: تقديم الحقيقة والحمل عليها ، وذلك حين يَكُونَ الْمَجَازُ مَرْجُوحًا لا يُفْهَمُ إلاَّ بِقَرِينَةٍ - كَالأَسَدِ لِلشُّجَاعِ - أَوْيَغْلِبَ اسْتِعْمَالُهُ، حَتَّى يُسَاوِيَ الْحَقِيقَةَ. فَتقدم الْحَقِيقَةُ لِرُجْحَانِهَا أو لعَدَمِ رُجْحَانِ الْمَجَازِ.

الثاني : تقديم المجاز ، وذلك حين يَكُونَ الْمَجَازُ رَاجِحًا، وَالْحَقِيقَةُ مُمَاتَةً، لا تُرَادُ فِي الْعُرْفِ فَيُقَدَّمُ الْمَجَازُ؛ لأَنَّهُ إمَّا حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ كَالصَّلاةِ، أَوْ عُرْفِيَّةٌ كَالدَّابَّةِ. فَلا خِلافَ فِي تَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ.

مِثَالُهُ: لَوْ حَلَفَ لا يَأْكُلُ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ. فَأَكَلَ مِنْ ثَمَرِهَا حَنِثَ، وَإِنْ أَكَلَ مِنْ خَشَبِهَا لَمْ يَحْنَثْ، وَإِنْ كَانَ الْخَشَبُ هُوَ الْحَقِيقَةُ.

الثالث : استواء الأمرين ، وذلك حين يَكُونَ الْمَجَازُ رَاجِحًا، وَالْحَقِيقَةُ تَتَعَاهَدُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ. فَهَذِهِ مَحَلُّ الْخِلافِ عِنْدَ الأَكْثَرِ. كَمَا لَوْ حَلَفَ لَيَشْرَبَنَّ مِنْ هَذَا النَّهْرِ. فَهُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْكَرْعِ مِنْهُ بِفِيهِ، وَلَوْ اغْتَرَفَ بِكُوزٍ وَشَرِبَ فَهُوَ مَجَازٌ؛ لأَنَّهُ شَرِبَ مِنْ الْكُوزِ، لا مِنْ النَّهْرِ، لَكِنَّهُ مَجَازٌ رَاجِحٌ يَتَبَادَرُ إلَى الْفَهْمِ. فَيَكُونُ أَوْلَى مِنْ الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تُرَادُ؛ لأَنَّ كَثِيرًا مِنْ الرِّعَاءِ وَغَيْرِهِمْ يَكْرَعُ بِفِيهِ " (١).

والمطلوب من المفسر -في هذا العنصر-أن يتناول ما يلي:

<u>أولا: معاني الحروف</u>، إذ إن الحرف قد يؤدي أحد معانيه، أو ينوب مكان حرف غيره، والصورة الأولى هي الأصل، لأنها معان حقيقية في الحرف، وقد ذكر ابن هشام رحمه الله في كتابه (مغني اللبيب) أن بعض الحروف لها معانٍ متعددة، فجاء في كتابه: "(أو)حرف عطف، ذكر

---

١) [مختصر التحرير شرح الكوكب المنير ١/ ١٩٥] تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ) -المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد- الناشر: مكتبة العبيكان - الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م

لَهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مَعَانِي انْتَهَت إِلَى اثْنَي عشر " (١) وجاء فيه : " (إِلَى) حرف جر لَـهُ ثَمَانِيَـة معَـان" (٢) وجاء أيضا : " (حَتَّى)حرف يَأْتِي لأحد ثَلَاثَة معَان انْتِهَاء الْغَايَة وَهُوَ الْغَالِب ، وَالتَّعْلِيل ، وَبِمَعْنى إِلَّا فِي الِاسْتِثْنَاء وَهَذَا أقلهَا وَقل من يذكرهُ" (٣)

والصورة الثانية –أعني تناوب الحروف - يقول عنها الجرجاني : " وهذا الباب في العربية دقيق المداخل والمخارج، يفضي إلى غير قضية. وهو باب يمسك النحاة منه بطـرف وأهـل البيـان بطرف، لأنه باب يسلط فيه النظر على المبنى والمعنى. وللعلماء فيه مذاهب شتى، ودروب متباينة، وتأويلات مختلفة، ولكنه، على ما فيه من عناء، ممتع شائق لطيف، لأن النظر فيه عمل مـن إعـمال العقل، تنقدح الحقائق للناظر فيه بعد طول تأمل، وإمعان نظر، وبعـد نفـاذ في بـواطن المسـائل، وتجاوز الظاهر المكشوف الخفي المستتر،

ومعاني الحروف من أعمال اللغوي الباحث عن دلالات الألفاظ المفردة، وإنـما احتفـى بهـا النحاة، وأفردوا لها كتبا؛ لأن الحروف روابط التركيب، وعلى التركيب ينصب عمل النحوي. وفي بعض كتب النحو نرى أن النحاة يسوقون معـاني الحـروف، ومنهـا حـروف الجـر أو الإضـافة أو الصفات " وذكر أمثلة لذلك التناوب في ثنايا تفسيره فجعل (أو) بمعنى (الـواو)، كـما في قولـه تعالى: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة:٧٤] ، وجعل (ثم) بمعنى (الواو)، وذلك في قولـه تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا} [البقرة:١٩٩]، وشبهها بالآية الأخرى من سورة يونس قول الله تعالى: {ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ} [يونس:٤٦] ، وجعل (الباء) بمعنى (مع) في قول الله تعالى: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٣٩٨) جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشـام الأنصـاري (المتوفى ٧٦١هـ) الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨ هـ

٢) المصدر السابق (١/ ٤٨٩)

٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٦٠)

الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللهِ} [آل عمران:١٥١] " (١).

فالواجب على المفسر أن يحدد حالة الحرف أولا –هل يؤدي أحد معانيه أو ينوب عن غيره– ثم يحدد المعنى المراد بالحرف.

ثانيا: معنى الكلمة

فقد تأتي الكلمة غريبة على السمع، فتحتاج إلى توضيح؛ لأن بيان المعنى –الذي هو التفسير– لا يتم إلا ببيان معاني المفردات.

ثالثا: تحديد المراد من الكلمة

ربما تكون الكلمة محتملة لأكثر من معنى، وهذا ما يدعونه (المشترك اللفظي) مثل (عسعس) في قوله ﷻ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[التكوير: ١٧]، فإن معناه (أقبل ، وأدبر) قال العلامة الطبري ﷺ بعد ذكر هذين القولين: " وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلا والعرب تقول: عسعس الليل، وسَعْسَع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير" . (٢)

وربما يكون لها معنى مشهور لكنه غير مراد مثل (حرف) في قوله ﷻ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [الحج: ١١]، فالمعنى المشهور ل(حرف) هو حرف التهجي ، وهو غير مراد هنا ، جاء في (بحر العلوم) : " (على حرف) أي: على شك. وعلى وجه الرياء، ولا يريد به وجه الله تعالى. ويقال: على شك، والعرب تقول: أنت على حرف، أي على شك ويقال: عَلى حَرْفٍ بلسانه دون قلبه.

---

١) درج الدرر في تفسير الآي والسور (٢/ ٣١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ) – الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا – الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م وراجع تفسير الآيات السابقة في مواطنها من تفسيره

٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٥٧

وروي عن الحسن أنه قال: يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ أي على إيمان ظاهر وكفر باطن. ويقال: عَلَىٰ حَرْفٍ، أي على انتظار الرزق " (١).

وقد تأتي بصيغة تدل على العموم وهو غير مراد منها مثل (الملائكة) في قوله ﷻ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]. فإن المنادي كان أحد الملائكة -وهو جِبْرِيل ﷺ- (٢) وليسوا كلهم كما يفيد ظاهر الآية.

ففي **الصورة الأولى** يلزم المفسر أن يوضح هل تحمل الكلمة -التي هي من قبيل المشترك اللفظي- على جميع ما تحتمله من معان أم على بعضها ؟

وفي **الصورة الثانية** يلزم المفسر أن يذكر المعنى المشهور ثم يذكر المعنى المراد ،

وفي **الصورة الثالثة** يلزمه أن يبين سبب عدم حمل اللفظ على عمومه ، ويبين المخصوص المراد من هذا اللفظ العام . وهكذا .

---

١) بحر العلوم (٢/ ٤٥٠] أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي -دار النشر : دار الفكر - بيروت - تحقيق: د.محمود مطرجي

٢) كما في [تفسير ابن أبي حاتم - محققا ٢/ ٦٤١] و[تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١/ ٢٨٧] وغيرهما . انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)

تحقيق: أسعد محمد الطيب - الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين -أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) - تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز - الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المبحث الرابع

الأحكام

أحكام القرآن هي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي. وتتناول المسائل العقدية (١)، والمسائل الفقهية، والمسائل الأخلاقية (٢)

وقد ذكرها الزركشي في برهانه في النَّوْعُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُينَ، فقال: "قِيلَ: إِنَّ آيَاتِ الْأَحْكَامِ خَمْسُمِائَةِ آيَةٍ وَهَذَا ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُ وَتَبِعَهُمُ الرَّازِيُّ وَلَعَلَّ مُرَادَهُمُ الْمُصَرَّحُ بِهِ فَإِنَّ آيَاتِ الْقَصَصِ وَالْأَمْثَالِ وَغَيْرِهَا يُسْتَنْبَطُ مِنْهَا كَثِيرٌ" . (٣)

قلت : وما ذكره صحيح من وجهين ، **الأول** : أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه (٤) ، **والوجه الثاني** : أن الأساليب قد تتناوب ، فيأتي الخبر في صورة الإنشاء والعكس .

---

١) كالكلام عن الأحكام التي تتعلق بذات الله ﷻ ، والأحكام التي تتعلق بالأنبياء ، والملائكة واليوم الآخر . ونحو ذلك.

٢) كالأحكام التي تتعلق ببر الوالدين ومعاملة الجار وحقوق الأزواج، وحقوق المسلمين وغير ذلك.

٣) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣

٤) " اختلف العلماء حول اعتبار شرع من قبلنا شرعا لنا أم لا، فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في إحدى الروايتين أن شرع من قبلنا شرع لنا بطريق الوحي لا من جهة كتبهم المبدلة، واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي، وهو الحق، وإلا لم يبق للنزاع معنى إذ لا ينكر أحد التزام النبي ﷺ بالوحي سواء من شرعه أم شرع من سواه ، وذهبت الأشاعرة والمعتزلة إلى المنع، وذلك اختيار الآمدي من المتأخرين ولكن الرأي الأول هو المعتمد وعليه جمهور العلماء. ويشترط أن لا يكون قد ورد في شرعنا ما يخالف هذا الشرع الذي نأخذ به." انظر : [الجدول في إعراب القرآن ٦/ ٣٦٤ لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت - الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ ، وانظر تفصيل هذه المسألة في أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢١٠) ، اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ١٦) انوار التنزيل واسرار التاويل للبيضاوي (٢/ ٧٥) ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ٢٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٩٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ١٦٢ ، بترقيم الشاملة آليا) فتح الباري - ابن حجر (٢/ ٧٢)

وتأتي أهمية الحديث عن هذا الجانب من وجوه:

الأول: ربط القرآن الكريم بالواقع المعيش

أنزل الله ﷻ القرآن ليكون منهجا ودستورا في حياة الناس، مصداقا لقوله ﷻ ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وقوله ﷻ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ. لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩، ٧٠].

وجاء الأمر بذلك صريحا في قوله ﷻ ﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقوله ﷻ ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[النمل: ٩١، ٩٢]،

وجاء التحذير من هجره والوعيد على تركه في قوله ﷻ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان: ٣٠] وقوله ﷻ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]

ولا يمكن للأمة أن تحيل هذا القرآن منهجا عمليا في حياتها إلا إذا أحسنت فهمه، ووسيلة ذلك التفسيرُ، لذا وجب على المفسر أن يكون تفسيره ملامسا لحياة الناس في تصحيح عباداتهم ومعاملاتهم وسائر أحوالهم، وذلك من خلال التعريج على ما فيه من أحكام وحدود وبيانها بيانا وافيا.

الثاني: بيان وحدة أصول الدين الإسلامي من لدن آدم ﷺ إلى سيدنا ﷺ

أكد القرآن الكريم -في غير موضع- على أن الإسلام دين الله ﷻ الذي ارتضاه لعباده، وأرسل به أنبياءه، وأنزل به كتبه، قال ﷻ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال ﷻ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥] وقال ﷻ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣] وقال ﷻ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]

وقد جاء القرآن الكريم بقصص عن الأقوام السابقين ، وبين في تلك القصص بعض الأحكام التي كان ينادي بها الأنبياء السابقون في أقوامهم ، كما بين فيها كثيرا من القيم والأخلاق التي دعا إليها هؤلاء الأنبياء ، والتي تتسق تماما مع سائر القصص كما تتسق -في ما لم ينسخ منها- مع الشريعة الخاتمة التي جاء بها سيدنا ﷺ

الثالث: بيان شمولية القرآن الكريم لأصول الأحكام.

في تفسير قوله ﷻ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] يقول الشيخ الهرري رحمه الله : " {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ} يا محمَّد {الْكِتَابَ} الكامل في الكتابية، الحقيق بأن يخص به اسم الجنس، وهو القرآن الكريم؛ أي: نزلناه عليك في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع، كما يفيده صيغة التفعيل، حالة كونه: {تِبْيَانًا}؛ أي: بيانًا بليغًا ، فالتّبيان أخص من مطلق البيان، على القاعدة: أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا، {لِكُلِّ شَيْءٍ} يتعلق بأمور الدين، ومن ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم، أو لكل شيء يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة، إما بتبيينه في نفس الكتاب، أو بحالته على السنة، لقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} أو بإحالته على الإجماع كما قال: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} الآية، أو على القياس كما قال: {فاعتبروا يا أولي الأبصار}، والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس، فهذه أربعة طرق لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، وكلها مذكورة في القرآن بقوله: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}: فاندفع ما قيل كيف قال الله سبحانه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}: ونحن نجد كثيرًا من أحكام الشريعة لم يعلم بالقرآن نصًّا، كعدد ركعات الصلاة، ومدة المسح، والحيض، ومقدار حد الشرب، ونصاب السرقة وغير ذلك، ومن ثم اختلفت الأئمة في كثير من الأحكام. اهـ " (١)

---

١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٥/ ٣٤٢) الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي – إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي – الناشر: دار طوق

وما أورده رحمه الله من شبهة في نهاية كلامه يمكن دفعه أيضا بأن القرآن الكريم قد اشتمل – أولا –على أصول هذه الأحكام دون الدخول في فروعها ، و–ثانيا– أشار إلى مصادر تعلمها (القرآن والسنة والإجماع والقياس) دون بيان مسائلها وتطبيقاتها.

والثاني –أعني ثاني المصادر وهو السنة– قد أشارت إليه الآيات المذكورة في كلام الشيخ، والأول –وهو القرآن الكريم– مستفاد من عموم ألفاظ القرآن في كثير من آيات الأحكام –إن لم يكن جميعها– حتى ما نزل منها على سبب خاص.

يقول صاحب كتاب (أضواء على إعجاز القرآن) : "تضمَّن القرآن الكريم تشريعًا كاملاً لِلأحكام في مُختلف مناحيها، فشمل: العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية ، والعقوبات، والسِّياسة الخارجية، ومُعاهَدات السِّلم والحرب والحياد، وسائر الأنظمة التي يقوم عليها المُجتمَع، ويتَّصِف هذا التشريع القرآنيُّ بصفتين رئيسيتين، وهما: العموميَّة والدَّيمومة (١).

ولِهذا جَعَلَه الله للناس كلِّهم وللعالَمين: دُستورًا هاديًا وشافيًا، وجعله خالدًا دائمًا على مرِّ الزمان والأجيال.

فالقرآنُ دستورٌ شامل، وصَفَه مُنَزِّله – وهو ربُّ العالمين – بأنه تبيانٌ لكلِّ شيء؛ فقد خاطب الرسول المُنَزَّل عليه – ﷺ – بقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

الرابع: بيان العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في هذا الجانب .

لم ينفرد القرآن الكريم وحده ببيان الأحكام الشرعية ، بل جعل للسنة النبوية نصيبا وافرا من ذلك ، بحيث لا يستغني المفسر في شرحه للقرآن الكريم عن الرجوع للسنة في تفصيلات هذه الأحكام

النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، وهو في الكشاف للزمخشري ، وفي البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٨٢)

١) من كتاب"أضواء على إعجاز القرآن الكريم"؛ للشيخ عكرمة صبري – بتصرف يسير.

فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم فرتبتها تلي رتبة القرآن؛ لأن مرتبة البيان تأتي بعد مرتبة المبين، ولأن القرآن الكريم ثابت بالتواتر القطعي الذي لا ريب فيه أما السنة فبعضها ثبت عن طريق الآحاد.

وقد بين الله تعالي علاقة السنة بالقرآن في قوله " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " وشرح العلماء تفصيل ذلك، فذكروا أنها علي أربعة أوجه (بيان للقرآن ــ مؤكدة ومؤيدة ــ منشئة لأحكام سكت عنها القرآن ــ ناسخة لحكم ثبت بالكتاب) (١)

العلاقة الأولي علاقة البيان : وهي إما ببيان المجمل أو تخصيص العام أو تقييد المطلق أو توضيح المشكل أو تفسير المعني المراد من كلام الله تعالي

فبيان المجمل كقوله ﷻ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ولم يبين لنا عدد الصلوات في كل يوم أو عدد الركعات في كل صلاة أو مقدار الزكاة ، وتكفلت السنة ببيان ذلك كله فجاء في الأحاديث النبوي قوله ﷺ " صلوا كما رأيتموني أصلي ".

وتخصيص العام، وتقييد المطلق كقوله ﷻ ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴾ وهذه الآية لم تحدد قدر المسروق الذي يجب فيه القطع ، فجاءت السنة لتبين قدر المسروق والمعني أنها خصصت العام فليس كل سارق تقطع يده بل من سرق نصابا قيمته ربع دينار فصاعدا وأن يكون المسروق من حرز مثله وأن لا يكون السارق مضطرا ليحفظ نفسه من الهلاك وهذا ما يسمي بتخصيص العام.

وتوضيح المشكل كالحديث الذي بين المراد من الخيطين (الأبيض والأسود) وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنه لما نزل قوله ﷻ ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

---

١) انظر تفصيل ذلك أكثر في : السنة ومكانتها من التشريع لعبد الحليم محمود (ص: ٢٧ وما بعدها) التاشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.، التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٦٠ وما بعدها) ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (١/ ٣٧٧) لمصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م (بيروت)

الْفَجْرِ ﴾ قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ عِقَالاً أَبْيَضَ وَعِقَالاً أَسْوَدَ أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ : إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ.

العلاقة الثانية : علاقة التأكيد والتأييد

مثل أحاديث وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج ، كقوله ﷺ في حديث ابن عمر ﷺ: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري ، فهذا الحديث مؤكد لقوله ﷻ في شأن الصلاة والزكاة: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} (البقرة٨٣)، ولقوله ﷻ في شأن الصوم : {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون } (البقرة ١٨٣) ، ولقوله ﷻ في شأن الحج : {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } (آل عمران ٩٧) ومثاله أيضا أحاديث بر الوالدين

العلاقة الثالثة أن تكون منشئة لأحكام سكت عنها القرآن :

مثال الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها في نكاح واحد وهذا الأمر استقلت به السنة وليس له ذكر في القرآن الكريم فإن القرآن الكريم حرم بسبب المصاهرة أم الزوجة إن عقد على ابنتها وبنت الزوجة إن دخل بأمها وزوجة الابن الصلبي والجمع بين الأختين في نكاح واحد. ثم ألحقت السنة بذلك كله الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها في نكاح واحد فعن جابر ﷺ قال نهي رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة علي عمتها أو خالتها

العلاقة الرابعة أن تكون ناسخة لحكم ثبت بالكتاب مثل قوله " لا وصية لوارث مع قوله " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ".

فإذا عرض المفسر لحكم من هذه الأحكام فلا غنى له بحال عن الرجوع إلى السنة ، وفي رجوعه هذا تأكيد على قوة العلاقة بين الوحيين الشريفين .

المبحث الخامس

الإعجاز

ومما يلزم المفسر الكلام عنه في التفسير (وجوه إعجاز القرآن الكريم) وهي كثيرة، منها الإعجاز التشريعي، والتاريخي، والمستقبلي، والعلمي، على أن أهمها و أوضحها هو الإعجاز المتعلق بلغة القرآن وبيانه .

قال البيهقي : " أجمع الْعُقَلَاء على أَن كتاب الله تَعَالَى معجز لم يقدر أحد على معارضته مَعَ تحديهم بذلك ، قَالَ الله تَعَالَى {وَإِن أحد من الْمُشْركين استجارك فَأَجره حَتَّى يسمع كَلَام الله} فلولا أن سَمَاعه حجَّة عَلَيْهِ لم يقف أمْرَهُ على سَمَاعه وَلَا يكون حجَّة الا وَهُوَ معْجزَة ، وَقَالَ تَعَالَى {وَقَالُوا لَوْلَا أنزل عَلَيْهِ آيَات من ربه قل إِنَّمَا الْآيَات عِنْد الله وَإِنَّمَا أَنا نَذِير مُبين أَوَ لم يَكفهمْ انا انزلنا عَلَيْك الْكتاب يُتْلَى عَلَيْهِم } فَأخْبر ان الْكتاب آيَة من آيَاته كَاف فِي الدّلَالَة قَائِم مقَام معجزات غَيره وآيات من سواهُ من الْأَنْبِيَاء وَقد جَاءَهُم بِهِ ﷺ وَكَانُوا أفْصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على ان يَأْتُوا بِمثلِهِ وأمهلهم طول السنين فَلم يقدروا وَكَانُوا احرص شَيْء على إطفاء نوره وإخفاء أمره فَلَو كَانَ فِي مقدرتهم معارضته لعدلوا إِلَيْهَا ؛ قطعا للحجة وَلم ينْقل عَن أحد مِنْهُم انه حدث نَفسه بِشَيْء من ذَلِك وَلَا رامه ، بل عدلوا إِلَى العناد تَارَة وَإِلَى الِاسْتِهْزَاء اخرى ، فَتَارَة قَالُوا سحر وَتارَة قَالُوا شعر وَتارَة قَالُوا أساطير الْأَوَّلين ، كل ذَلِك من التحير والانقطاع ... فَلَو علمُوا ان الْإِتْيَان بِمثلِهِ فِي قدرتهم لبادروا إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ أَهْون عَلَيْهِم" (١) وهذا -أعني الإعجاز البياني- هو أشهر وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، والحديث عنه في متناول كل مفسر متى ما التفت إلى ذلك وأحسن معالجته ،

---

١) الخصائص الكبرى (١/ ١٩٤) لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت

والحديث عن هذا العنصر في التفسير مهم من عدة وجوه:

أولا: التأكيد على ربانية القرآن الكريم.

أخرج ابْن اسحاق وَالْبَيْهَقِيّ عَن الزُّهْرِيّ قَالَ حدثت أَن أَبَا جهل وَأَبَا سُفْيَان والأخنس بن شريق خَرجُوا لَيْلَة ليستمعوا من رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي بَيته وأخذ كل رجل مِنْهُم مَجْلِسا ليستمع مِنْهُ وكل لَا يعلم بمَكَان صَاحبه فَبَاتُوا يَسْتَمِعُون لَهُ حَتَّى إِذا أَصْبحُوا وطلع الْفجْر تفَرقُوا فَجمعتهمْ الطَّرِيق فتلاوموا قَالَ بَعضهم لبَعض لَا تعودوا فَلَو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فِي نَفسه شَيْئا ثمَّ انصرفوا حَتَّى اذا كَانَت اللَّيْلَة الثَّانِيَة عَاد كل رجل مِنْهُم إِلَى مَجْلِسه فَبَاتُوا يَسْتَمِعُون لَهُ حَتَّى اذا طلع الْفجْر تفَرقُوا فَجمعتهمْ الطَّرِيق فَقَالَ بَعضهم لبَعض مثل مَا قَالُوا أول مرّة ثمَّ انصرفوا فَلَمَّا كَانَت اللَّيْلَة الثَّالِثَة أَخذ كل رجل مِنْهُم مَجْلِسه فَبَاتُوا يَسْتَمِعُون لَهُ حَتَّى إِذا طلع الْفجْر تفَرقُوا فَجمعتهمْ الطَّرِيق فَقَالُوا لَا نَبْرَح حَتَّى نتعاهد لَا نعود فتعاهدوا على ذَلِك ثمَّ تفَرقُوا فَلَمَّا أصبح الْأَخْنَس بن شريق أَخذ عَصَاهُ ثمَّ خرج حَتَّى اتى أَبَا سُفْيَان فِي بَيته فَقَالَ أَخْبرنِي يَا أَبَا حَنْظَلَة عَن رَأْيك فِيمَا سَمِعت من مُحَمَّد فَقَالَ يَا أَبَا ثَعْلَبَة لقد سَمِعت أَشْيَاء أعرفهَا وَأعرف مَا يُرَاد بهَا فَقَالَ الْأَخْنَس وَأَنا وَالَّذِي حَلَفت ثمَّ خرج من عِنْده حَتَّى أَتَى ابا جهل فَدخل عَلَيْهِ بَيته فَقَالَ يَا أَبَا الحكم مَا رَأْيك فِيمَا سَمِعت من مُحَمَّد فَقَالَ مَاذَا سَمِعت تنازعنا نَحن وَبَنُو عبد منَاف الشّرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حَتَّى إِذا تجاثينا على الركب وَكُنَّا كفرسي رهان قَالُوا منا نَبِي يَأْتِيهِ الْوَحْي من السَّمَاء فَمَتَى ندرك هَذِه وَالله لَا نؤمن بِهِ أبدا وَلَا نصدقه ، فَقَامَ الْأَخْنَس بن شريق "(١)

ثانيا: التأكيد على نبوة سيدنا النبي ﷺ.

حين صدع سيدنا محمد ﷺ برسالته وأخبر بوحي الله إليه ، وقف قوم مكة عاجزين أمامه مدهوشين، تلجئهم أحاديث عقولهم إلى الإيمان به واتباعه ، وتحملهم سوء طويتهم وخبث نيتهم على

---

١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (٢/ ٢٠٦) - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ - تحقيق: الدكتور / عبد المعطى قلعجى - ط : دار الريان للتراث- الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م

اتهامه بأنه متقول كذاب، وقد "غلبت عَلَي بعضهم الشقاوة واستحكمت مِنْهُ الطغاوة فخذل بِذَنبِهِ ونكص على عقبه وَقَالَ {أبشرا منا وَاحِدًا نتبعه} {إِن هَذَا إِلَّا سحر مُبين}

وَمِنْهُم من حمله فرط جَهله وقصور عقله على الْمُعَارضَة والإتيات بِمثلِهِ كَمَا نقل من ترهات مُسَيْلمَة فِي قَوْله (الْفِيل والفيل وَمَا أَدْرَاك مَا الْفِيل لَهُ ذَنَب طَوِيل وخرطوم وثيل) وَقَوله (والزارعات زراعا فالحاصدات حصدا والطاحنات طحنا) إِلَى غير ذَلِك من كَلَامه وَلَا يخفى مَا فِي ذَلِك من الركاكة والفهاهة وَمَا فِيهِ من الدّلَالَة على جهل قَائِله وَضعف عقله وسخف رَأْيه " (١) ولا يخفى –ما في عجزهم كذلك– أن ما اتهموا به سيدنا ﷺ غير صحيح ، وإذا ثبت كذبُ اتهامهم وفشلُهم في الإتيان بمثل هذا القرآن ، ثبت أن سيدنا ﷺ صادق في دعواه النبوة ، وأن هذا الكلام ليس كلام بشر.

وعليه فكل وجه من وجوه الإعجاز يبرز في التفسير هو دليل على نبوة سيدنا ﷺ وصدقه .

ثالثا: التأكيد على تنوع وديمومة خصيصة (الإعجاز) لهذا الكتاب

أرسل الله نَبِيَّه ورسوله محمدًا ﷺ بالرسالة الخاتمة، وكان لا بُدَّ من معجزة تُلائِم طبيعتُها رسالةَ الله الخاتمة إلى العالمين؛ فتتعدَّد وجوه إعجازها؛ لتُقيم الحُجة على الخلق كافَّة، وتظلَّ شاهدة على صدق الرسالة الخاتمة وربانيَّتها.

ولذا لم تكن هذه المعجزة مؤقَّتة كمعجزات الأنبياء من قبله ﷺ؛ لأن المعجزة المؤقتة لا تؤدِّي هذا الدور ولا تَصْلُح لهذه المهمَّة، وإنما كانت هذه المعجزة الخالدة هي القرآن، الذي تحدَّى به محمد ﷺ العرب، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، ولم تنته هذه المعجزة بوفاة رسول الله ﷺ بل استمرَّت حتى زماننا، وستظلُّ مستمرَّة كما وعد الله .

---

١) غاية المرام في علم الكلام (ص: ٣٤٤) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي– الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، ١٣٩١– تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف

المبحث السادس

بيان المعنى العام أو المعنى الإجمالي.

وهو –وإن لم يخصه الأقدمون بعنوان مستقل في تفاسيرهم – من العناصر الأساسية في تفاسيرهم، حيث يبينون الفكرة التي تنطق بها السورة أو الآية الكريمة ، وإن اختلفت عباراتهم في ذلك .

فالطبري ﷺ –مثلا– يقول في قول الله ﷻ ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾: "ومعنى الآية إذًا: ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبدهم بما شاء، ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته، فولوا وجوهكم – أيها المؤمنون – نحو وجهي، فإنكم أينما تولوا وجوهكم فهنالك وجهي " (١).

والزمخشري ﷺ –في قول الله ﷻ ﴿ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ – يقول : " ومعنى الآية على الأولى: أنّ الرجل كان يحلف على بعض الخيرات، من صلة رحم، أو إصلاح ذات بين، أو إحسان إلى أحد، أو عبادة، ثم يقول: أخاف اللَّهَ أن أحنث في يميني، فيترك البرّ إرادة البرّ في يمينه، فقيل لهم: وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أي حاجزاً لما حلفتم عليه " (٢).

والرازي ﷺ يقول – في قول الله ﷻ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ .. ﴾ – : " وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَنُوبُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا تَحْمِلُ عَنْهَا شَيْئًا مِمَّا أَصَابَهَا، بَلْ يَفِرُّ الْمَرْءُ فِيهِ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَمَعْنَى هَذِهِ النِّيَابَةِ أَنَّ طَاعَةَ الْمُطِيعِ لَا تَقْضِي عَلَى الْعَاصِي مَا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ. وَقَدْ تَقَعُ هَذِهِ النِّيَابَةُ فِي الدُّنْيَا كَالرَّجُلِ يَقْضِي عَنْ قَرِيبِهِ وَصَدِيقِهِ دَيْنَهُ وَيَتَحَمَّلُ عَنْهُ، فَأَمَّا يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ قَضَاءَ الْحُقُوقِ إِنَّمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ.

---

١) تفسير الطبري (٢/ ٥٣٣)

٢) تفسير الزمخشري (١/ ٢٦٧)

رَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَانَ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَلَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»(١) " (٢) .

وتبدو أهمية الحديث عن هذا العنصر في التفسير من وجوه:

أولها: كونه مرحلة مهمة في الترجمة:

تنوعت عبارات العلماء في أنواع الترجمة وتعريفهم لتلك الأنواع، فالذهبي في (التفسير والمفسرون) جعلها ثلاثة أنواع، والقطان في مباحثه بدأ ببيان أنها نوعان ثم انتهىٰ إلىٰ أربعة،

وحول هذا التنوع دار كلام العلماء فيها، وخلاصة كلامهم انتهىٰ إلىٰ أن الترجمة خمسة أنواع، وهي (الترجمة الحرفية بالمثل، والترجمة الحرفية بغير المثل، والترجمة المعنوية للمعاني الأصلية، والترجمة المعنوية للمعاني الثانوية، والترجمة التفسيرية)

أما الترجمة الحرفية بالمثل: فمعناها أن يُترجَم نظم القرآن بلغة أخرىٰ تحاكيه حذواً بحذو بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه، حتىٰ تتحمل الترجمة ما تحمَّله نظم الأصل من المعانىٰ المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية" (٣)

-وأما الترجمة الحرفية بغير المثل: فمعناها أن يُترجم نظم القرآن حذواً بحذو بقدر طاقة المترجِم وما تسعه لغته، وهذا أمر ممكن، وهو وإن جاز فىٰ كلام البَشر، لا يجوز بالنسبة لكتاب

---

١) لم أجده موقوفا علىٰ أبي هريرة أو غيره ، لكنه ورد عند البخاري مرفوعا بألفاظ متقاربة – انظر : صحيح البخاري (٢/ ٨٦٥) كتاب المظالم باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته حديث رقم ٢٣١٧ .

٢) تفسير الرازي (٣/ ٤٩٤)

٣) التفسير والمفسرون (١/ ١٩)

الله العزيز، لأن فيه من فاعله إهداراً لنظم القرآن، وإخلالاً بمعناه، وانتهاكاً لحرمته، فضلاً عن كونه فعلاً لا تدعو إليه ضرورة " (١).

وأما الترجمة المعنوية فقد عرفها الشيخ القطان بأنها "بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لنظمه." (٢)

ثم عاد فقال : " القرآن الكريم –وكذا كل كلام عربي بليغ– له معان أصليه، ومعان ثانوية.

والمراد بالمعاني الأصلية المعاني التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية.

والمراد بالمعاني الثانوية خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام، وبها كان القرآن معجزًا" (٣).

ثم بين أن ترجمة المعاني الثانوية أمر غير ميسور ، وأن ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، ومن هنا انتقل إلى نوع خامس للترجمة سماه (الترجمة التفسيرية) وقال : " ويحق لنا أن نقول: إن علماء الإسلام إذا قاموا بتفسير للقرآن، يتوخى فيه أداء المعنى القريب الميسور الراجح، ثم يترجم هذا التفسير بأمانة وبراعة، فإن هذا يقال فيه: "ترجمة تفسير القرآن" أو "ترجمة تفسيرية" بمعنى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى. ولا بأس بذلك. فإن الله تعالى بعث محمدًا –ﷺ– برسالة الإسلام إلى البشرية كافة على اختلاف أجناسها وألوانها: "وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة" (٤)، وشرط لزوم الرسالة البلاغ – والقرآن الذي نزل بلغة العرب صار إبلاغه للأمة العربية ملزمًا لها، ولكن سائر الأمم التي لا تُحسن العربية، أو لا تعرفها يتوقف إبلاغها الدعوة على ترجمتها بلسانها. وقد عرفنا قبل استحالة الترجمة الحرفية وحرمتها. واستحالة ترجمة

---

١) التفسير والمفسرون (١/ ٢٠)

٢) مباحث في علوم القرآن (ص: ٣٠٧) للشيخ مناع القطان ط: مكتبة وهبة – الطبعة العاشرة ١٤١٧ هـ

٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٠٨)

٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ . انظر : صحيح البخاري ـ م م (١/ ٩٥) كتاب الصلاة بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا حديث رقم ٤٣٨ .

المعاني الثانوية، ومشقة ترجمة المعاني الأصلية وما فيها من أخطار، فلم يبق إلا أن يترجم تفسير القرآن الذي يتضمن أسس دعوته بما يتفق مع نصوص الكتاب وصريح السُّنَّة إلى لسان كل قبيل حتى تبلغهم الدعوة وتلزمهم الحجة. وترجمة تفسير للقرآن على نحو ما ذكرنا يصح أن نسميها بالترجمة التفسيرية. وهي تختلف عن الترجمة المعنوية وإن كان الباحثون لا يفرقون بينهما، فإن الترجمة المعنوية توهم أن المترجم أخذ معاني القرآن من أطرافها ونقلها إلى اللغة الأجنبية، كما يقال في ترجمة غيره: ترجمة طبق الأصل. فالمفسِّر يتكلم بلهجة المبيِّن لمعنى الكلام على حسب فهمه، فكأنه يقول للناس: هذا ما أفهمه من الآية، والمترجم يتكلم بلهجة من أحاط بمعنى الكلام وصبَّه في ألفاظ لغة أخرى. وشتان بين الأمرين. فالمفسِّر يقول في تفسير الآية: يعني كذا، ويذكر فهمه الخاص. والمترجم يقول: معنى هذا الكلام هو عين معنى الآية، وقد عرفنا ما في ذلك.

وينبغي أن يؤكَّد في الترجمة التفسيرية أنها ترجمة لفهم شخصي ـ خاص، لا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر منها، وبهذا تكون ترجمة للعقيدة الإسلامية ومبادئ الشريعة كما تُفهم من القرآن " (١).

وبناء على ما سبق ، فلو أردنا ترجمة لمعاني القرآن الكريم فإننا نعمد إلى تفسيره وننظر في عناصره ونتخير منها ما يصلح بيانا لمعانيه، وأقرب العناصر لذلك (لغة النص، ووجوه إعجازه، وبيان المعنى الإجمالي)، فلو عمدنا إلى (معاني المفردات) كعنصر تفسيري، وأردنا أن نترجم القرآن الكريم من خلال هذا العنصر ما جاز لنا ذلك، وما وفى بالغرض، ولو عمدنا إلى (مبحث الإعجاز) كعنصر آخر، لخرجنا بهذا العمل عن غرض القرآن الأصلي، فلم يتبق لنا -كافيا في بيان معاني القرآن الكريم، وافيا بالغرض من الترجمة- إلا (بيان المعنى العام) .

ثانيا: إثبات يسره لكل الناس.

في غير آية من كتاب الله يؤكد الحق ﷻ على يسر القرآن في حفظه وفهمه والعمل به، قال ﷻ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[مريم: ٩٧] ، وقال ﷻ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ

---

١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٢٧)

بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: ٥٨] وقال ﷻ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، على أن المرء قد يقرأ الآية من كتاب الله ﷻ فيستعصي عليه حفظها؛ لاشتباهها مع غيرها، ويحار في فهمها، أو يخطئ فيه، وربما يستصعب تطبيقها في حياته، فإذا ما قرأ معناها ووقف على فكرتها سهل عليه الحفظ والفهم والتطبيق.

المبحث السابع

بيان ما يستفاد من النص القرآني.

الأصل في القرآن الكريم أنه كتاب هداية وإرشاد ؛ مصداقا لقوله ﷻ ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

يقول د. الزحيلي: "هو كتاب هداية إلهية، وتشريع ديني، ونور يهدي لعقيدة الحق، وأصلح مناهج الحياة، وأصول الأخلاق والقيم الإنسانية العليا، قال ﷻ ﴿ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتـابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة ٥/ ١٥- ١٦] " (١).

إضافة إلى تبوء القصص القرآني مكانة كبيرة فيه ، فآياته كثيرة متناثرة ، والطريقة الأمثل لدراستها تتم باستخلاص الدروس المستفادة منها .

ولذلك فلا جرم أن يخصص المفسر في تفسيره عنصرا يبين فيه هدايات القرآن الكريم المستفادة من الآية أو القصة أو السورة التي يعرض لها ،

وتظهر أهمية هذا العنصر من وجوه:

أولا: التأكيد على ارتباط القرآن بحياة الناس وواقعهم

لم ينزل القرآن الكريم إلى الناس ليكون نصيبه منهم أن يقرأوه في صلواتهم ومناسباتهم، وينتهي دوره عند ذلك، بل جاء ليكون ملازما للناس في كل أحوالهم، منظما لحياتهم، منذ وجودهم في أصلاب آبائهم ثم أرحام أمهاتهم، ثم مراحل حياتهم، ثم موتهم

- فنراه يهتم بالإنسان في كل مراحل حياته ، حتى لا يكاد يغفل شيئا منها ، فاختار له (وهو غير موجود بعد) أفضل طريق لإيجاده، وهو الزواج الشرعي كما يفهم ذلك من قوله ﷻ ﴿ {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً}

---

١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١/ ٨)- المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي

الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

[النحل: ٧٢]، وحفظ له حقه في الميراث وهو في بطن أمه كما بفهم ذلك من النص على (وجود الولد) في آيات المواريث ، سواء كان هذا الوجود حقيقة أو تقديرا ، وميز المرأة الحامل عن المرأة الحائل في الأحكام ، كما في العدة والنفقة ، ثم ندب الأبوين لاختيار أفضل اسم له ، كما يفهم ذلك من قوله ﷻ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٧]، وأوجب عليهما حسن تربيته صغيرا، كما يفهم ذلك من آيات الوصايا الأبوية في سورة لقمان ، ثم وجه هذا الإنسان إلى السعي في الأرض لطلب معاشه بالحلال ، فقال ﴿ {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [الملك: ١٥] ، وأوجب لهذا الإنسان حقا في حالات ضعفه ، فخفف عن المريض والضعيف والأعمى، وأسقط التكليف عن الصبي والمجنون والمرأة الحائض والنفساء ، ثم جعل له حقوقا على أولاده حين يكون والدا وقرن هذه الحقوق بتوحيد الله ﷻ فقال ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، ثم كرمه بعد موته فأوجب تغسيله وتكفينه ودفنه وتنفيذ وصيته .

- ثم نراه -أي القرآن لكريم- يطرح مشاكل تقع للإنسان في حياته ، ويحدد أسبابها، ويبين طرق علاجها.

وما من مشكلة عرض لها القرآن الكريم وعرض حلها، وجاء نظام وضعي بحل أفضل من الحل القرآني.

" فالمنهج الإلهي القرآني موضوع ليعمل في كل بيئة، وفي كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية، وفي كل حالة من حالات النفس البشرية الواحدة.. وهو موضوع لهذا الإنسان الذي

يعيش في هذه الأرض، آخذ في الاعتبار فطرة هذا الإنسان وطاقاته واستعداداته، وقوته وضعفه، وحالاته المتغيرة التي تعتريه " (١)

ثانيا: التأكيد على صلاحية القرآن لكل زمان:

يحتاج الناس -في كل زمان ومكان- إلى إرشادات وتوجيهات في شتى شئون حياتهم ، وحتى تكتسب هذه الإرشادات والتوجيهات ثقة الناس يلزم فيها شرطان ، أولهما أن تكون من خبير بأحوالهم عالم بما يصلحهم ويصلح لزمانهم وأحوالهم ، والثاني : أن تكون من محب لهم حريص على ما ينفعهم.

والشرطان متحققان في رب العزة ﷻ ، فهو ﷻ العليم بخلقه ، الخبير بما ينفعهم وما يضرهم، قال ﷻ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

وهو كذلك محب لخلقه حريص عليهم ، ولذلك أرسل رسله وأنزل كتبه وشرع لهم مناهج تتناسب معهم.

ومن ثم فإن كلامه سبحانه -القرآن الكريم- خليق بأن تستنطق آياته وتستثار سوره ليستخرج منها الناس -في مختلف الزمان والمكان- ما ينفعهم ويرشدهم ، وتنصلح به أحوالهم في المعاش وفي المعاد.

وقصص القرآن الكريم -المأخوذة من أزمنة مختلفة والتي تتناول مواعظ وإرشادات مختلفة- شاهدة على ذلك ..

فالإرشادات في قصة آدم ﷺ غير الإرشادات في قصة نوح ﷺ ، وهي كذلك غير الإرشادات التي في قصة هود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى عليهم جميعا صلوات الله وسلامه

وكأن كل قصة أتت في زمان معين ونصحت بأمر يتناسب مع طبيعة البشر في هذا الزمان، حتى استوت البشرية على ساقها وبلغت أشدها فجاءت رسالة الختام شاملة لكل هذه التوجيهات

---

١) في ظلال القرآن – سيد قطب (١/ ١٣)

ومضيفة لها ما يتناسب مع طبيعة البشرية في المرحلة التي جاءت فيها ، كما قال ﷻ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٢ - ٤] ولقوله ﷻ ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]

والمفسر للقرآن الكريم ينبغي عليه أن يبرز في كل آية -إن استطاع- مواضع العبرة والعظة الكامنة في الآية التي لا تتضح -في الغالب- إلا بالتفسير.

ثالثا: التأكيد على تنوع هدايات القرآن:

القرآن كتاب هداية عامة، بمعنى أن هدايته متنوعة شاملة لكل شئون الناس، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والتربية والصحة والأسرة والسلم والحرب وغير ذلك، وما من مجال من هذه المجالات إلا وللقرآن الكريم فيه إرشاد، مصداقا لقوله ﷻ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

ففي السياسة الداخلية مثلا أرشد الناس إلى إرساء مبدأ (الشورى) كطريقة رشيدة للحكم، فقال ﷻ مخاطبا نبيه ﷺ بذلك : ﴿ {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال ﷻ مادحا المؤمنين - في تنفيذهم هذا المبدأ في الفصل في أمورهم الهامة ، وفي سورة حملت هذا الاسم- : ﴿ {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨]

وفي التربية أرشد القرآن الآباء إلى ضرورة الاقتداء بالنماذج التربوية الطيبة في تعليم أبنائهم الخير والحكمة ـ فقال ﷻ مبينا ما كان من لقمان لابنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ..... يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي

الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٣ - ١٩]

وفي التعليم أرشد الناس إلى القراءة ، فكان أول ما نزل أمر صريح بها ، في قوله ﷻ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥] وجعل أفضل الناس بعد الأنبياء العلماء فقال ﷻ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] بل إنه ﷻ جعل من مهمة الرسول ﷺ تعليم الناس ورفع الجهل عنهم فقال ﷻ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٥١]

وهكذا تنوعت هدايات القرآن في كل مجال من مجالات الحياة .

مراجع البحث

مرتبة على حروف المعجم

١. ١٠٠ سؤال وجواب في تفسير سورة الفاتحة- للباحث - نشر في مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا العدد التاسع والعشرين لسنة ٢٠١٤ .

٢. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر- أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي - الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ٥/ ٨/ ١٤٠٦ - الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م

٣. أحكام القرآن لابن العربي - القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)- راجع أصوله وخرج أحاديثه: محمد عبد القادر عطا- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤. الإحكام في أصول الأحكام - أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ) المحقق: عبد الرزاق عفيفي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت .

٥. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول- المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : ١٢٥٠هـ)- المحقق : الشيخ أحمد عزو عناية ، الناشر : دار الكتاب العربي - الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٦. أسباب النزول - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان -الناشر: دار الإصلاح - الدمام - الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٧. أسرار ترتيب القرآن - لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي - الناشر : دار الاعتصام - القاهرة -تحقيق : عبد القادر أحمد عطا دون تاريخ

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن -محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ

٩. أضواء على إعجاز القرآن الكريم"؛ للشيخ عكرمة صبري – بتصرف يسير.

١٠. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات – أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) تحقيق إبراهيم عطوه الناشر المكتبة العلمية- لاهور- باكستان

١١. بحر العلوم -أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي -دار النشر : دار الفكر – بيروت – تحقيق: د.محمود مطرجي

١٢. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان -أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ت: صدقي محمد جميل – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ

١٣. البرهان في علوم القران – لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

١٤. تاج العروس من جواهر القاموس – لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية ،

١٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لابن عاشور- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) خرج أحاديثه عصام الصبابطي ط: دار الحديث القاهرةالطبعة الأولى ١٤٢١ هـ

١٧. تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي- الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٨. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) -محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة النشر: ١٩٩٠ م

١٩. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين -أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) - تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز - الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٢٠. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)-تحقيق: أسعد محمد الطيب - الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ ،

٢١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ت: محمد حسين شمس الدين - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت

٢٢. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م- دار الكتب المصرية - القاهرة

٢٣. تفسير المراغي: . أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الطبعة: الأولى، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦

٢٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د وهبة بن مصطفى الزحيلي – الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

٢٥. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٥/ ٣٤٢) الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي – إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي – الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٢٦. تهذيب اللغة – لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ،

٢٧. التيسير في القراءات السبع –عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – المتوفي سنة ٣١٠هـ– قدم له الشيخ خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقة حميد العطار – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٢٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري– –لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٣٠. الجدول في إعراب القرآن –لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)– الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت – الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ ،

٣١. الخصائص الكبرى–لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت

٣٢. دراسة المعنى عند الأصوليين –طاهر سليمان حمودة طبعة دار الجيل للنشر والتوزيع ٢٠٠١ .

٣٣. درج الدرر في تفسير الآي والسور -أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ) - الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا - الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م -

٣٤. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) - الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز - جدة - الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

٣٥. دلائل النبوة -أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: د. عبد المعطي قلعجي - الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث -الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣٦. الرسالة " -محمد بن إدريس الشافعي -دراسة وتحقيق: أحمد شاكر - الناشر: مكتبه الحلبي، مصر - الأولى، ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م

٣٧. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي -لمصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان - الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (بيروت)

٣٨. السنة ومكانتها من التشريع لعبد الحليم محمود - التاشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.،

٣٩. سنن أبي داوود- سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد - الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٤٠. العُرف والعادة في رأي الفقهاء-د أحمد فهمي أبو سنة -ط: ميراث النبوة للنشر والتوزيع ٢٠٠٤

٤١. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ -لشهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ) ت: محمد باسل - ط: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري - أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) -الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٤٣. غاية المرام في علم الكلام -علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي- الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ، ١٣٩١ - تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف

٤٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري-نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ت: الشيخ زكريا عميرات - الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ دار الكتب العلميه - بيروت .

٤٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي

٤٦. فصول في أصول التفسير - د مساعد الطيار- الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ دار ابن الجوزي

٤٧. القاموس المحيط - لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي - الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة ، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الطبعة: الثالثة - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ هـ

٤٩. اللباب في علوم الكتاب لابن عادل - أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

٥٠. لسان العرب-لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ : دار صادر - بيروت ،

٥١. اللغة العربية معناها ومبناها- دكتور تمام حسان - الناشر: عالم الكتب - الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٥٢. ما لا يسع المفسر إغفاله وتركه من ضوابط وأسس التفسير-للباحث - نشر في العدد الثاني من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ ٢٠١٩ م .

٥٣. مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم - الطبعة الرابعة - دار القلم ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

٥٤. مباحث في علوم القرآن - للشيخ مناع القطان ط: مكتبة وهبة - الطبعة العاشرة ١٤١٧ هـ

٥٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ت: عبد السلام عبد الشافي محمد - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ دار الكتب العلمية - بيروت

٥٦. المحصول في علم الأصول - لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي - الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض- الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ تحقيق : طه جابر فياض العلواني.

٥٧. مختصر التحرير شرح الكوكب المنير-تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ) -المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد- الناشر: مكتبة العبيكان - الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ

٥٨. المستصفى من علم الأصول- - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي-تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان -الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٥٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن - لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ت: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش - الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م دار طيبة للنشر والتوزيع

٦٠. المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة-(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة

٦١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب-جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (المتوفى ٧٦١هـ) الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨ هـ

٦٢. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير-أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٦٣. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم -

٦٤. مناهل العرفان في علوم القرآن (-محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)-الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة: الثالثة

٦٥. المهذب في علم أصول الفقه المقارن - أعبد الكريم بن علي بن محمد النملة -دار النشر: مكتبة الرشد- الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٦٦. ميزان الأصول في نتائج العقول- لعلاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ) حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر - الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

٦٧. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن - د. محمد عبد الله دراز - اعتنى به وخرج أحاديثه:عبد الحميد الدخاخني طبعة دار طيبة للطبع والنشر - الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ .

٦٨. نظرات في علم المناسبات ص:٤٨ -نشر في المجلد الثاني لمجلة كلية الآداب جامعة دمياط . العدد الثاني يوليو ٢٠١٢

٦٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

٧٠. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي -الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي-الناشر: دار الخير للطباعة ، دمشق - سوريا- الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م